المن

جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

موسوعة الخطب العصرية
الجزء التاسع

إعداد

الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة

إشراف وتقديم

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{إِنْ أُرِيدُ إلا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْـتُ وَمَـا تَوْفِيقِي إلا بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

(هود : ٨٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

وبعـــد :

فيسرنا أن نقدم للسادة الأئمة والخطباء والمثقفين والمعنيين بالشأن الدعوي في مصر والعالم الجزء التاسع من موسوعة الخطب العصرية الذي أعدته الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة بوزارة الأوقاف تحت إشرافنا ومراجعتنا .

وقد تنوعت موضوعات هذا الجزء ما بين قضايا إيمانية وتربوية وأخلاقية ، تهدف إلى إيقاظ الضمائر وتهذيب الأخلاق ، وقضايا اجتماعية تسهم في دعم وتقوية أواصر المودة والرحمة بين أبناء المجتمع، وتسهم في حفظ تماسكه وتلاحم نسيجه ، وأخرى تتصل بالمعاملات التي تعد جزءًا لا يتجزأ من السلوك القويم للمسلم ، وقضايا وطنية تهدف إلى تقوية الانتماء الوطني والحفاظ على أمن الوطن واستقراره ، إضافة إلى ما لا غنى عنه من بعض خطب المناسبات .

ويتناول هذا الجزء العديد من القضايا العصرية ، من أهمها : تقرير المصلحة وتنظيم المباح ، ومفهوم التنمية الشاملة ، وتنظيم النسل ، وإتقان الصنائع والحرف ، ومتطلبات الولاء والانتماء الوطني ، ومخاطر الهجرة غير الشرعية ، وغير ذلك من الموضوعات المهمة التي تسهم في

بناء الوعي ونشر الفكر الوسطي المستنير .

وقد آثرنا في هذه الخطب أن تكون في إطار سماحة الإسلام ووسطيته ، بعيدًا كل البعد عن جميع ألوان التشدد والغلو والإفراط أو التفريط، محققة لرسالة المسجد ، تجمع ولا تفرق ، وتهدف إلى تحقيق مصالح البلاد والعباد ، من منطلق أن شرع الله (عز وجل) قائم على مراعاة هذه المصالح ، فحيث تكون المصلحة فثمة شرع الله ، وبما يؤدي إلى تشكيل وعي ديني صحيح ورشيد ومستنير ، وحس وطني صادق ونبيل.

كما راعينا في إخراجها السهولة واليسر ، والبعد عن التقعر والتكلف، سائلين الله (عَزَّ وجَلَّ) أن يكتب لهذا العمل القبول ، وأن يكون زادًا علميًّا وفكريًّا ومعرفيًّا في مجال الثقافة الإسلامية الرصينة ، وأن يكون إضافة متميزة للمكتبة الدعوية ، في إطار دور مصر الريادي في نشر الفكر الوسطي المستنير وترسيخ سماحة الإسلام ، وإبراز معالمه الحضارية للبشرية جمعاء .

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

نبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم)
في ذكرى مولده

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}(الأنبياء : ١٠٧)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين.

وبعـــد :

فإن الله (عز وجل) قد اصطفى نبيه محمدًا (صلى الله عليه وسلم) على الخلق جميعًا ، فشرح له صدره ، وأعلى شأنه ، ورفع ذكره ، وجمع له مكارم الأخلاق والآداب ، فقال سبحانه : {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم:٤)، وإن الرحمة لمن عظيم الأخلاق التي تحلَّى بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقد ظهرت آثارها على البشرية كلها؛ لأنها رحمة ربانية ألقاها الله (عز وجل) في قلب نبيه (صلى الله عليه وسلم)، حيث يقول سبحانه: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}(آل عمران: ١٥٩) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) عن نفسه : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ) (سنن أبي داود) .

ولقد تنوعت مظاهر الرحمة في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، فكانت رحمةً عامة شاملة لكل مناحي الحياة ، تخفيفًا عن الناس، ورفعًا للمشقة والحرج عنهم- لا سيما الضعفاء منهم - يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي - أو على الناسِ- لأمَرْتُهم بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ) (صحيح البخاري) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (عَلَيْكُمْ بِمَا

تُطِيقُونَ ، فَوَاللَّهِ لا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا) (سنن النسائي) .

وكذلك من مظاهر رحمته (صلى الله عليه وسلم) أنه ملاذ الناس يوم القيامة يستشفعون به عند الله سبحانه ، فيغيثهم ، ويشفع فيهم ، فقد ادخر (صلى الله عليه وسلم) دعوته شفاعة لأمته ، وقد تلا (صلى الله عليه وسلم) قَوْلَ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) فِي إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) : {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي}(إبراهيم : ٣٦) ، وَقول عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :{إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(المائدة : ١١٨) ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ: (اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي) وَبَكَى ...، فَقَالَ اللَّهُ (عز وجل) : (يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوءُكَ) (صحيح مسلم) .

لقد خص نبينا (صلى الله عليه وسلم) فئات معينة بمزيد من الرحمة ، منهم: **الصغير واليتيم** ، فكان يحنو على الصغار ، ويداعبهم، ويقبلهم، فحين قال أَعْرابِيٌّ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : تُقَبِّلُون الصِّبْيانَ؟! فَمَا نُقبِّلُهُمْ، قالَ (صلى الله عليه وسلم) : (أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟!) (الأدب المفرد)، وأوصى (صلى الله عليه وسلم) باليتامى ورفع شأنهم ، وشأن من يكفلهم ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا)، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى ، (صحيح ابن حبان)، وعندما جاءه (صلى الله عليه وسلم) رَجُلٌ يَشْتَكِي قَسَاوَةَ قَلْبِهِ ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) له: (أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ؟) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ : (أَدْنِ الْيَتِيمَ مِنْكَ ، وَامْسَحْ رَأْسَهُ ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلَيِّنُ قَلْبَكَ ، وَتَقْدِرُ عَلَى حَاجَتِكَ) (الحلية لأبي نعيم).

ومنهم: **كبار السن**، **وذوو الهمم**، فقد حرص النبي (صلى الله عليه وسلم) على الاهتمام بهم وجبر خواطرهم، وجعل (صلى الله عليه وسلم) توقيرهم واحترامهم إجلالا لله (عز وجل)، يقول (صلى الله عليه وسلم): (إنَّ مِنْ إجْلالِ اللهِ تَعَالَى: إكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ...) (شرح السنة للبغوي)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا) (سنن الترمذي)، وكان (صلى الله عليه وسلم) يراعي ذوي الهمم والقدرات الخاصة، ويساندهم، ويلفت الأنظار إلى مميزاتهم وقدراتهم، فقد اتخذ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) عبدَ الله بن أم مكتوم (رضي الله عنه) مؤذنًا له، واستخلفه (صلى الله عليه وسلم) على المدينة مرتين يصلي بالناس، (تاريخ الإسلام للذهبي).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

إخوة الإسلام:

لقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) للإنسانية على مر التاريخ أعظم الأمثلة في الرحمة، فلم تقف مظاهر رحمته (صلى الله عليه وسلم) عند حدود البشر فحسب ، بل اتسعت لتشمل الطير، والجماد، والحيوان، وقد بشر (صلى الله عليه وسلم) كل من يرحم الحيوانات بعفو الله تعالى ورضوانه، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ

عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ) (صحيح البخاري).

وهذه الصور العظيمة للرحمة التي أسكنها الله (عز وجل) قلب نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أكبر دليل على سماحة الإسلام ، ورحمته ، ويسره، فشريعة الإسلام هي شريعة السلام ، والرحمة ، واليسر بكل معانيها، فلْنتراحم فيما بيننا، ولنرحم مَن في الأرض ليرحمنا من في السماء، فقد قال (صلى الله عليه وسلم) : (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) (سنن أبي داود).

* * *

النبيُّ القدوةُ (صلى الله عليه وسلم)
مُعلمًا ومُربِّيًا

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}(التوبة:١٢٨)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين.

وبعــد:

فقد بعث الله تعالى رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هاديًا، ومبشرًا، ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وحباه بالأخلاق الفاضلة، والآداب السامية، وجوامع المُثل والقِيم الإنسانية، فكان (صلى الله عليه وسلم) نِعم القدوة لأمته وللإنسانية جمعاء في كل أحواله ، حيث يقول تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}(الأحزاب: ٢١).

والمتدبر في سيرته (صلى الله عليه وسلم) يجد أنه (صلى الله عليه وسلم) كان خير الناس للناس جميعًا ؛ فقد كان (صلى الله عليه وسلم) معلمًا رفيقًا ، يحنو على من يعلم ، فهذا معاوية بن الحَكَمِ (رضي الله عنه)، يقول: بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ : وَاثُكْلَ أُمَّاهُ ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصْمِتُونِي سَكَتُّ ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ)، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، وَاللَّهِ مَا قَهَرَنِي، وَلا ضَرَبَنِي ، وَلا شَتَمَنِي ، قَالَ: (إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ ، وَالتَّكْبِيرُ ، وَالتَّهْلِيلُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ...) (مسند ابن أبي شيبة).

وعن أبي أمامة (رضي الله عنه)، قَالَ : (إِن فَتى شابًّا أتى النبِي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: يا رسول اللَّه ، ائذن لي بِالزنا ، فأقبل القوم عليه، فزجروه، وقالوا: مَهْ، مَهْ، فقال: ادنه، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قالَ: أَتُحِبُّهُ لأمِّكَ؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ، قال: أَفتحبُّه لابْنَتِكَ؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قال: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأخَوَاتِهِمْ، قال: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قال: أَفَتُحِبُّهُ لخَالَتِكَ؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ) ، فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء . (مسند الإمام أحمد) .

كما كان (صلى الله عليه وسلم) يربي أصحابه على مراقبة الله تعالى، وصدق التوكل عليه، وحسن الاستعانة به، ويبث في نفوسهم ما يصلحها، ويهذبها، ويقوي صلتها بالله سبحانه ، فهذا سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)، يقول: كنت خلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يومًا، فقال: (يَا غُلام ، إِنّي أُعَلّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ

اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) (سنن الترمذي).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

إخوة الإسلام :

لقد كان سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معلمًا رحيمًا ، ومربيًا حكيمًا، فهو الذي قال عن نفسه (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا ، وَلا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا، وَمُيسِّرًا) (صحيح مسلم)، فهذا عمر بن أبي سلمة (رضي الله عنهما)، يقول: كُنْتُ غُلامًا في حجر رسولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ)، وكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ ، فَقالَ لي رَسولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) : (يا غُلَامُ ، سَمِّ اللَّهَ ، وكُلْ بيَمِينِكَ ، وكُلْ ممَّا يَلِيكَ ، فَما زَالَتْ تِلكَ طِعْمَتِي بَعْدُ) (صحيح البخاري).

وكان (صلى الله عليه وسلم) رفيقًا بمن كان في خدمته ، يقول أنس (رضي الله عنه) : (خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَهُ؟ وَلا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ

تَرَكْتَهُ؟) (سنن الترمذي).

فما أحوجنا إلى أن نقتدي بأخلاق نبينا (صلى الله عليه وسلم)، وأن نعامل الناس بما كان يعاملهم به (صلى الله عليه وسلم) كل في موقعه؛ نشرًا لرسالته، وبيانًا لهديه وسنته.

* * *

من مواقف الشرف والنبل
في السيرة النبوية المشرفة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب :٢١)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّين.

وبعــد:

فما عرفت البشريةُ كلُّها أنبلَ، ولا أشرفَ، ولا أعظمَ من سيدنا محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، الذي جاء بالهدى، ودين الحق، ليخرج الناس من ضيق الجهل ، والعنت ، إلى سعة العلم، واليسر، والتحضر ، فقد كان الناس قبل البعثة في جاهلية ؛ يعبدون الْأَصْنَامَ، ويأتون الْفَوَاحِشَ، ويقطعون الْأَرْحَامَ، يأكل الْقَوِيُّ منهم الضَّعِيفَ، حتى جاء رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم) يدعو إلى عبادة اللهِ تعالى وحده، ويأمر بالصدق، والحق، والعدل، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَينهى عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَات، ولم يأمر بشيء (صلى الله عليه وسلم) إلا وكان أول من يطبقه، ولم ينه عن شيء إلا وكان أول من يبتعد عنه، تقول له السيدة خديجة (رضي الله عنها): (واللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ) (صحيح البخاري).

ولقد حبا الله تعالى نبينا (صلى الله عليه وسلم) بكل صفات الكمال البشري، فكان (صلى الله عليه وسلم) أوفى الناس، وأعرف الناس بالفضل والجميل، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَا لأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلاَّ وَقَدْ كَافَيْنَاهُ، مَا خَلاَ أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)(سنن الترمذي) ، ولقد امتد وفاؤه (صلى الله عليه وسلم) لينال أعداءه، يقول سيدنا حُذَيْفَة بن الْيَمَانِ (رضي الله عنه): مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي، فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُ إِلا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: (انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ) (صحيح مسلم)، ولم ينس (صلى الله عليه وسلم) موقف المطعم بن عدي الذي أجاره بعد عودته من الطائف ، وقال (صلى الله عليه وسلم) في أسارى بدر : (لَوْ كَانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاءِ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ) (اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه، لأبي العباس القرطبي المتوفى سنة ٦٥٦هـ).

وكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) صادقًا أمينًا، وذلك بشهادة أعدائه قبل أتباعه، فحين قال لقريش: (لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟)، قَالُوا : نَعَمْ ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلا صِدْقًا. (صحيح البخاري)، وبرغم عداء قريش له، وتظاهرهم على قتله، إلا أنه كان حريصًا على أن يرد إليهم أماناتهم حين أراد الهجرة، وعهد إلى سيدنا علي (رضي الله عنه) أن يقوم بذلك، وهو القائل (صلى الله عليه وسلم) : (أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ) (سنن أبي

داود)، ولما دخل (صلى الله عليه وسلم) مكة فاتحًا منتصرًا قال لأهلها قولته المشهورة : (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ) (السنن الكبرى للبيهقي).

كما كان خلق الشجاعة من الصفات النبيلة لنبينا (صلى الله عليه وسلم)، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً سَمِعُوا صَوْتًا، قَالَ: فَتَلَقَّاهُمُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ (مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ)، وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، فَقَالَ: (لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا) (صحيح البخاري)؛ أي: لا تخافوا، ولا تفزعوا، ويقول سيدنا عليّ (رضي الله عنه): (كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ– اشتدت الحرب – وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَما يَكُونُ أَحَدٌ مِنَّا أَدْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ) (مسند الإمام أحمد).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لقد علمنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) كل معاني النبل، والسمو، والشرف ، والشهامة ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللهَ (عز وجل) كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا) (المعجم الكبير للطبراني)، وكان (صلى الله عليه وسلم) ملتزمًا بهذه

المكارم حتى في أصعب الأوقات وأشدها، فكانت من وصاياه (صلى الله عليه وسلم) في أوقات الحروب : (لا تَغُلُّوا، ولا تَغْدِرُوا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، فهذا عَهْدُ اللهِ وسيرةُ نبيِّهِ فِيكُمْ) (الموطأ).

لقد أسس النبي (صلى الله عليه وسلم) لكل معاني السمو، لا يعرف الشطط، ولا الغلو، ولا ينتقم لنفسه، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولم يكن (صلى الله عليه وسلم) سبّابًا ولا فحّاشًا قط ؛ بل كان رحمة للعالمين، يقول سيدنا أنس (رضي الله عنه) : خدمت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عشر سنين ، والله ما قال لي : أفٍّ قط ، ولا قال لشيء : لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا. (صحيح مسلم).

فما أحوجنا إلى التأسي بهذه الأخلاق النبيلة ، والصفات الجليلة، والمواقف المشرفة في السيرة النبوية المطهرة؛ لنكون بحق خير أمة أخرجت للناس .

* * *

تقدير المصلحة وتنظيم المباح

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم :{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}(المائدة:٢) ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، القائل في حديثه الشريف : (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) (المعجم الكبير للطبراني).

وبعـــد:

فإن المتأملَ في أحكام الشريعة الإسلامية يجدُ أنها جاءت لتحقيقِ مصالح البلاد والعباد ، والسُّمُوِّ بالنفسِ البشريةِ ، والارتقاءِ بها إلى أعلى الدرجات ، لذلك لم تأتِ الأحكامُ كلُّها ثابتةً مستقرةً ، بل كان منها ما هو ثابتٌ مستمرٌّ ومنها ما هو متغيرٌ يختلف باختلاف الزمان والمكان والأعراف والأحوال والحاجة ودفع الضرر والمشقة ، فأحكامُ الشريعةِ تدورُ مع المصلحةِ وجودًا وعدمًا ؛ وحيثما وُجدت المصلحةُ فثَمَّ شرعُ الله سبحانه وتعالى .

ولقد أقامت الشريعةُ الإسلاميةُ نظامًا متوازنًا ، يراعي بين المصلحةِ العامةِ والمصلحةِ الفرديةِ ، بما يحققُ صالحَ الوطنِ وصالحَ أبنائه جميعًا، فتتحققُ للمجتمعِ قوةُ البنيانِ الواحدِ، وشعورُ الجسدِ الواحدِ الذي حثَّ عليه نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) في قوله : (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ) (صحيح البخاري).

ومن المقرَّرِ شرعًا وعقلًا أن ما يحققُ النفعَ العامَّ للبلاد والعباد مقدمٌ على ما يحققُ النفعَ الخاصَّ لشخصٍ بعينه ، أو مجموعةٍ من الأشخاصِ، وأنه إذا تعارضَت المصلحةُ العامةُ مع المصلحةِ الخاصةِ قُدِّمت المصلحةُ العامةُ على الخاصةِ؛ ذلك أن المصلحةَ العامةَ تشملُ كلَّ ما يحققُ إقامةَ الحياةِ من أمورٍ ماديةٍ، ومعنويةٍ ، تجلبُ الخيرَ والنفعَ للناس ، وتدفعُ عنهم الشرَّ والمفاسدَ، وتحققُ حمايةَ الوطنِ واستقرارَه وسلامةَ أراضيه؛ فالشرعُ إنما جاء ليحفظَ على الناس دينَهم، ووطنَهم، وأنفسَهم، وعقولَهم، وأنسابَهم، وأموالَهم؛ لذا قرَّر الفقهاءُ أن الضررَ الخاصَّ يُتحَمَّلُ لدفعِ الضَّرَرِ العام ، وأنه إذا تعارضتْ مفسدتانِ روعي أعظمُهُما ضررًا بارتكابِ أخفِّهما .

على أننا نؤكد أنَّ تقديرَ المصلحةِ المعتبرةِ مسئوليةُ وليِّ الأمر؛ ذلك أنه أعلمُ بالمصلحةِ العامةِ، وأكثرُ إلمامًا بجوانب الأمورِ وما يترتبُ عليها من تبعاتٍ، لذا يقول الحقُّ سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ}(النساء :٥٩).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

إخوة الإسلام:

إنَّ احترامَ النظامِ والحفاظَ عليه مبدأٌ أصيلٌ من مبادئ الشريعة الإسلامية؛ إذ لابد لكل فئةٍ تتعايشُ في مجتمعٍ واحد من القوانينِ التي تنظم للناس أمورَ حياتِهم.

ومن أهم ما يجبُ تنظيمُه في المجتمع: الأمورُ المباحةُ؛ لأنَّ بعضَ الناسِ قد يتجاوزُ في استخدامِ المباحِ، فيتحولُ الأمرُ بسوء استخدامِه من الإباحة إلى الحرمة، يقول سبحانه: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ}(الأعراف:٢١)، ويقول تعالى:{وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا}(الإسراء : ٢٦، ٢٧)، فالخروجُ بالإنفاقِ إلى حدِّ السَّفَهِ والتبذيرِ يخرجُ به من الحِلِّ إلى الحُرمة؛ فلوليِّ الأمر أن يُقَنِّنَ المباحَ أو يُقَيِّدَهُ، بل عليه أن ينظِّمَهُ أو ينيبَ من ينظمُه من أصحاب الولايات الخاصة التي تنبثق من الولاية العامة، كلٌّ حسب اختصاصِه؛ لأن دنيا الناس لا تصلح بدون قانون ولا نظام، وإلا لصارت الدنيا إلى عشوائيةٍ مَقيتةٍ، وفوضى تضرُّ ولا تنفعُ، ومن ذلك على سبيل المثال: حقُّ الطريق الذي يُعَدُّ كَفُّ الأذى عنه شعبةً من شعب الإيمانِ، ولأجل تنظيمِ المباح شُرِعَ الحجرُ على السفيه والمبذِّر في الفقه الإسلامي .

ومما لا شك فيه أن تنظيمَ المباحِ بما يتناسب مع تحقيق النفع العام فيه درءٌ للمفاسدِ، وجلبٌ للمصالح؛ إذ لا مفسدةَ أشدُّ من الإضرار بحياة الناس، والأولويةُ تكون أولًا لإزالة كلِّ ما يشكل خطرًا على الحياة، ثم لما يحققُ مصالحَ الناس، ويجبُ على كل الناس أن يتعاونوا في ذلك؛ لأن الثمارَ يحصدها المجتمعُ كلُّه، والضررُ – لا قدّر الله – يقع على المجتمع كله، وقد بيَّن ذلك نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) في قوله : (مَثَلُ القَائِمِ في حُدودِ اللَّه والْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سفينةٍ ، فَأَصَابَ بعضُهم أعلاهَا، وبعضُهم أسفلَها، وكانَ الذينَ في أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا

عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا في نَصيبِنا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرادُوا هَلكُوا جَمِيعًا، وإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِم نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا) (صحيح البخاري).

* * *

مخاطر الهجرة غير الشرعية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}(النساء :٥٩)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ القائل في حديثه الشريف : (لا يَنبَغِي لمُؤمنٍ أن يُذِلَّ نفسَه ، قَالُـوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ ؟ قال : يتعرضُ للبلاءِ لِمَا لا يُطِيقُ) (شعب الإيمان)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين.

وبعـــد:

فإن من عظمة الشريعة الإسلامية أنها أحاطت النفس البشرية بسياجات حفظ، وأمان، وتكريم، وجعلت الشريعة حماية النفس أحد أهم الكليات الست والمقاصد التي حرص الشرع عليها ، وأولاها عناية خاصة ، فقد حرّم الشرع الشريف الاعتداء على النفس وتعريضها للهلاك ، يستوي في ذلك قتل الإنسان غيره أو قتله نفسه، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى:{وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلا بِالحَقِّ} (الأنعام:١٥)، ويقول (عز وجل) :{وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلى التَّهْلُكَةِ} (البقرة:١٩٥) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا، ومَنْ تَحَسَّى سمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّه فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا ، ومَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيهَا أَبَدًا) (صحيح البخاري).

وإن من صور الاعتداء على النفس تعريضها للهلكة عن طريق الهجرة غير الشرعية ؛ وهي انتقال الإنسان من بلد إلى بلد آخر بصورة غير قانونية ، عن طريق التسلل خفية ، معرضًا نفسه للموت قتلا أو غرقًا ، أو إقامته في بلد دون تصريح أو إذن ، أو بالمكث بعد المدة المحددة له قانونًا، ولا شك أن ذلك يعدُّ خداعًا، نهانا ديننا عنه، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنّا، وَمَنْ غَشّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) (صحيح مسلم).

كما أن التحايل لدخول البلاد الأخرى أو الإقامة فيها يعد مخالفة للعهود والمواثيق الدولية التي اتفقت عليها الدول، والتي يجب الوفاء بها، حيث يقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}(المائدة :١) وَيقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللهِ الْمُوفُونَ الْمُطَيِّبُونَ) (حلية الأولياء)، وإذا كانت للبيوت حرمة، فإن حرمة الدول كحرمة البيوت ، أو أشد ، فكما أنه لا يجوز لأحد أن يدخل بيتًا إلا بإذن صاحبه، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(النور: ٢٧)، فإنه لا يجوز لإنسان أن يدخل بلدًا إلا بإذن أهلها، وبالضوابط العالمية المعتبرة التي اتفقت عليها الدول.

على أننا نؤكد أن دخول البلاد بالشكل القانوني أو بتأشيرة الدخول فيه صيانة للنفس ، وحفظ للكرامة ؛ لأن تأشيرة الدخول تعد عهد أمان متبادل بين الدولة وزائريها ؛ فكما تضمن الدولة للزائرين الإقامة الآمنة المستقرة ، فيجب عليهم الحفاظ على أمن هذه الدولة ، وأمن أهلها ،

بغض النظر عن ديانتهم ، أو جنسهم ، أو عرقهم ، أو لونهم ، والوفاء بذلك التزام ديني ، وواجب شرعي .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الناظر بعين الإنصاف لما تقوم به الدولة هذه الأيام من اهتمام بالشباب ، وحسن تأهيلهم للعمل والإنتاج ، يرى أن ذلك يعد تشجيعًا كبيرًا لهم على الجد، والاجتهاد، والعمل ، هذا إلى جانب المشروعات الكبرى التي تفتح الأبواب لفرص عمل متنوعة ؛ مما يحفظ للشباب كرامتهم، ويجعلهم فاعلين لرقي بلادهم ، كل ذلك قد حدّ من الهجرة غير الشرعية بما وفّر وأتاح من فرص حقيقية للعمل .

وإذا كان السعي على الرزق والمعاش أمرًا مطلوبًا شرعًا ، حيث يقول تعالى:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ وإليه النُّشُورُ}(الملك:١٥)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) (صحيح البخاري) ، فإن ذلك ينبغي أن يكون بطرق شرعية ، دون إيذاء ، أو تهلكة ، أو ضرر ، أو معصية ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لا تَموتُ نفسٌ حتى تسْتكمِلَ رِزْقَهَا، وإنْ

أبطأَ عليهَا ، فاتّقُوا اللهَ ، وأجْمِلُوا في الطَّلَبِ ، ولا يحْمِلَنّكم اسْتِبْطاءُ الرِّزقِ أن تَأخذُوهُ بِمعصيةِ اللهِ ، فإنّ اللهَ لا يُنالُ ما عِندَه إلا بِطاعتِهِ) (مسند البزار) .

* * *

الحفاظ على النفس
من أعظم المقاصد الشرعية (*)

الحمد لله القائل في كتابه (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء:٧٠)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداَ عبدُه ورسولُه، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن مقاصد الشريعة عنصر أصيل في تكوين الأحكام الشرعية وفي تنزيلها، فالحكم الشرعي له مقصد ، وهذا المقصد يحدد أدوات تطبيقه كما قال الإمام الغزالي في كتابه (حقيقة القولين): قبلة المجتهد مقاصد الشرع فكيفما تقلب وهو يراعي مقصود الشرع فهو مستقبل للقبلة ، كالذي أحاطت به جدران الكعبة .

وواجب الوقت هو الحفاظ على حياة الناس وأرواحهم - في ظل أزمة كورونا- إذ مقصود الشرع هو مراعاة مصالح الناس وإسعادهم في الدارين، فحيث تكون المصلحة فإن الشرع يأمر بها وحيث تكون

---

* هذه الخطبة من إعداد الدكتور / على الله شحاته الجمال ، إمام وخطيب بالأوقاف.

المفسدة ينهى الشرع عنها، وهذا هو الذي جعل الإمام العز أن يقول : إن الشريعة كلها مصالح إما درء مفاسد أو جلب مصالح .

فكان لابد من إزالة أسباب الضرر والهلاك عملا بتلك القاعدة الجليلة: لا ضرر ولا ضرار ، مما تطلب البعد عن التجمعات تجنبا للعدوى ، وكذا الابتعاد عن المصافحة والمعانقة ، مع المباعدة الجسدية ، وارتداء الكمامات ، وغسل الأيدي ، وغيرها من الإجراءات الاحترازية .

وقد توسع فقهاؤنا في هذا المجال من أجل الحفاظ على حياة الناس وأرواحهم، فوجدنا أن الإمام العز يقرر قاعدة جليلة من خلال استقرائه للشرع الحنيف ، حيث يقول : جَعَلَ الشَّرْعُ الْمُتَوَقَّعَ كَالْوَاقِعِ ، وَالشَّرْعُ قَدْ يَحْتَاطُ لِمَا يَكْثُرُ وُقُوعُهُ احْتِيَاطُهُ لِمَا تَحَقَّقَ وُقُوعُهُ. والإمام الرازي يقول: لما أرسل سليمان (عليه السلام) رسالة إلى بلقيس بدأ بقوله: (إنه من سليمان) ولم يبدأ بالبسملة، لأنه توقع منها حدوث السب أو الشتم، فاختار أن يقع السب عليه هو إن وقع بدل أن يقع على رب العزة جل وعلا.

وتوسع الإمام العز في هذه المسألة حتى قال: إن النبي (صلى الله عليه وسلم) جعل التسبب في سب الوالدين من الكبائر. قال (صلى الله عليه وسلم) :" إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ : "يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ"(صحيح البخاري) ، وهذا معناه أن ما يُفضي إلى الحرام فهو حرام.

وقد ذكر الإمام الجويني في غياث الأمم قاعدة جليلة : أن منع المبادي أهون من قطع التمادي. ومعنى هذا الكلام أن منع الضرر والخطر قبل حدوثه أفضل بكثير من مقاومته، ومعالجته، وهذه القاعدة التي ذكرها الإمام الجويني ينبني عليها أمور عظيمة بالنسبة للأحكام الشرعية إذا ما دققنا النظر في كثير القضايا المعاصرة ، والتي تحتاج منا إلى جهد كبير ، ومما نظر إليه فقهاؤنا بعين الاعتبار ، منع بيع الطعام المنتهي الصلاحية لتجار يستخدمونه سمادًا إذا توقع البائع قلة أمانتهم. فما أحوجنا إلى تطبيق هذه القاعدة الشريفة في ظل هذه الظروف التي يمر بها العالم.

ومن قبل الجويني كان الإمام أبو حنيفة يشير إلى تلك القاعدة ، حيث يقول : إنا لنستعد للبلاء قبل نزوله ، فإذا وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه .

وبالتتبع والاستقراء لعبارات الفقهاء أدركنا أن فقهاءنا الأجلاء يسيرون خلف مقاصد الشريعة ، كما قال ابن القيم: (فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ مَبْنَاهَا وَأَسَاسُهَا عَلَى الْحِكَمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَهِيَ عَدْلٌ كُلُّهَا وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا، وَمَصَالِحُ كُلُّهَا ، وَحِكْمَةٌ كُلُّهَا ؛ فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ خَرَجَتْ عَنْ الْعَدْلِ إلَى الْجَوْرِ ، وَعَنْ الرَّحْمَةِ إلَى ضِدِّهَا ، وَعَنْ الْمَصْلَحَةِ إلَى الْمَفْسَدَةِ ، وَعَنْ الْحِكْمَةِ إلَى العبثِ؛ فَلَيْسَتْ مِنْ الشَّرِيعَةِ وَإِنْ أُدْخِلَتْ فِيهَا بِالتَّأْوِيلِ).

وقد بَلَغ من عناية الشريعة بالإنسان أنها قدمت حقوقه على جميع الحقوق ، فقد ذكر الإمام الشافعي : أنه إذا تعارضت حقوق الله مع حقـوق العبـاد ، قدمنا حقوق العباد على حقوق الله ؛ لأن العبد في غاية

الاحتياج ، ولأن الله (عز وجل) غني عن فعل العبد .

ومن صور حماية الشريعة لأرواح الناس وحياتهم – وبالأخص في ظل هذه الظروف – أنه يجب على الفقيه أن يكون مُلما بأحوال الناس، وأعرافهم ، وظروفهم ، حتى لا يعرض حياتهم للهلاك، فقد ورد أن صحابيًّا كانت في رأسه جراحات وقد أصابته جنابة فاستفتى بعض الناس بأن يتيمم بدل أن يغتسل، فأجابوه بأنه لا يجوز فمات، فذكروا ذلك للنبي، فقال صلى الله عليه وسلم:(قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالَ)(سنن أبي داود). ولهذا قال ابن القيم: (وَمَنْ سَلَكَ غَيْرَ هَذَا أَضَاعَ عَلَى النَّاسِ حُقُوقَهُمْ، وَنَسَبَهُ إلَى الشَّرِيعَةِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا رَسُولَهُ).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وآله ، وصحبه ، والتابعين.

إخوة الإسلام:

إذا كانت الشريعة الإسلامية قد اعتنت بحياة الإنسان هذا الاعتناء فإنه من الواجب علينا أن نأخذ بأسباب الحماية والنجاة، ومنها مايلي:

١- ضرورة الأخذ بأسباب الوقاية والنجاة حتى تزول هذه المحنة بسلام، ومما يدل على ذلك أن التتار لما دخلوا بغداد أسرع الناس إلى العالم الكبير نجم الدين كُبرى وطلبوا منه أن يدعو على التتار، فقال لهم: إن هذا الأمر لا يُرفع بالدعاء. إنما يحتاج إلى الاستعداد والأخذ بالأسباب.

٢- الإكثار من الطاعات والصدقات، فقد قال (صلى الله عليه وسلم): "دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ" (السنن الكبرى للبيهقي). وكذا الإكثار من التسبيح، يقول الإمام الشافعي: لَمْ أَرَ أَنْفَعَ لِلْوَبَاءِ مِنَ التَّسْبِيح .

٣- ضرورة الوعي المجتمعي والشعور بالمسئولية، فقد حذرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من خطورة العدوى:" لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ"(صحيح البخاري)، وغيرها من الأحاديث كقوله:فرّ من المجذوم فرارك من الأسد.

٤- الإكثار من الدعاء ، فقد ورد أن الدعاء يرد القدر، قال (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ" (صحيح ابن حبان).

* * *

إتقان الصنائع والحرف
سبيل الأمم المتقدمة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}(التوبة : ١٠٥)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن إتقان العمل، والتميز فيه، والقيام به على أكمل وجه، من أهم القيم التي دعا إليها الإسلام، وحث عليها، ورغَّب فيها، ولا أدل على ذلك من أن الله تعالى خلق هذا الكون بإتقان وإبداع؛ ليسير الناس على هذا النهج الإلهي في أعمالهم، حيث يقول تعالى: {وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ}(النمل:٨٨)، وديننا الحنيف لا يطلب من الناس مجرد العمل؛ إنما يطلب إتقانه وإحسانه، يقول سبحانه: {وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (القصص : ٧٧)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)(صحيح مسلم).

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أنه في كثير من آياته يدعو إلى إتقان الصناعات، والحرف، والمهن؛ ليكون سبيلًا للتقدم، فإنه لم تتقدم

أمة من الأمم إلا بتفانيها في صناعاتها، وحرفها، ومهنها المختلفة، وقد أشار القرآن الكريم إلى صناعة الحديد، حيث يقول سبحانه: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}(الحديد:٢٥)، فمن الحديد تُصنع الدروع والأسلحة التي تُحمى بها الأوطان والأعراض، وتُصنَع المنتجات التي تنفع المجتمع.

كما أشار القرآن إلى صناعة الملابس، والأثاث، والجلود، فقال سبحانه: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ}(النحل:٨٠، ٨١).

كما أن هذه الصناعات والحرف مهنة الأنبياء والمرسلين، فقد كانوا فيها خيرَ أنموذج للإجادة ، والإتقان، فصناعة الحديد مهنة سيدنا داود (عليه السلام)، يقول سبحانه: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ}(سبأ : ١٠، ١١)، والنجارة مهنة النبيَّيْن الكريمَيْن نوح وزكريا (عليهما السلام): يقول تعالى في حق سيدنا نوح (عليه السلام) : {فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا}(المؤمنون : ٢٧)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (كان زكريا- عليه السلام- نجارًا) (مسند الإمام أحمد).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لقد وعد ربنا (عز وجل) من يتقن عمله بالثواب العظيم، حيث يقول سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}(الكهف:٣٠)، كما أن إتقان العمل من الأمور التي يحبها الله (عز وجل)، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ) (مسند أبي يعلى).

وكما حث الإسلام على الإتقان، فقد حذر من التقصير والإهمال، وبين أن الله تعالى مطلع على الناس، ومراقب لهم، حيث يقول سبحانه: {إِنّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}(النساء:١)، ويقول تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ}(البقرة:٢٢٠) ، فعدم إتقان العمل من الإفساد في الأرض الذي نهى الله تعالى عنه في قوله سبحانه: {وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها}(الأعراف: ٥٦)، والذي لا يتقن عمله، ولا يراقب الله تعالى فيه آثم بقدر ما يتسبب في ضياع الأموال، وإهدار الطاقات، فهذا ومن على شاكلته لا تتسق أعمالهم مع الدين، ولا الوطنية، ولا الضمير الإنساني الحي، وواقعون في جريمة غش المجتمع التي نهانا عنها نبينا (صلى الله عليه وسلم) في قوله: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) (صحيح مسلم).

* * *

تنظيم النسل

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ (البقرة :٢٣٣)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فقد خلق الله (عز وجل) الإنسان لغاية كبرى، ورسالة سامية، وطلب منه عمارة الأرض، والإصلاح فيها، حيث يقول تعالى: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}(هود:٦١) ، وهذا يتطلب بناء إنسان قوي، قادر على الوفاء بحق دينه ووطنه.

والمتأمل في الشريعة الإسلامية يجد أنها أولت إعداد الإنسان عناية خاصة، بداية من تكوين الأسرة، مرورًا بمراحل الحمل، والولادة، والرضاعة؛ فكفلت له حقه في الرضاعة الطبيعية حولين كاملين، حتى ينمو في صحة جيدة، حيث يقول تعالى: {وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا} (الأحقاف : ١٥)، ويقول سبحانه: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ}(البقرة:٢٣٣)، وقد عدَّ الفقهاء إيقاع الحمل مع الإرضاع جَوْرًا على حق الرضيع والجنين، وسمَّوْا لبن الأم التي تجمع بين الحمل والإرضاع لبنَ الغِيلة ؛ وكأن كلًّا من الطفلين قد

اقتطع جُزءًا من حق أخيه؛ مما قد يعرض أحدهما، أو يعرضهما معًا للضعف.

ومن هنا كانت أهمية تنظيم النسل الذي يعد في واقعنا الراهن ضرورة شرعية، كما أنه داخل بقوة في باب الأخذ بالأسباب، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ) (سنن الترمذي).

إن قضية تنظيم النسل لون من ألوان وفاء الوالدين بحقوق أبنائهم، فكل ربّ أسرة مسئول عن أبنائه، في التربية القويمة، والتعليم الصحيح، والتنشئة السوية؛ ليكون عضوًا نافعًا لدينه، ووطنه، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ) (السنن الكبرى للنسائي) ، ويقول ابن عمر (رضي الله عنهما): أَدِّب ابْنَكَ، فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ وَلَدِكَ، مَاذَا أَدَّبْتَهُ؟ وَمَاذَا عَلَّمْتَهُ؟ (السنن الكبرى للبيهقي).

ولا شك أن الأمم التي تحسن تعليم أبنائها، وإعدادهم، وتأهليهم، أمم تتقدم، وترتقي، فالعبرة ليست بالكثرة العددية؛ وإنما بالصلاح، والنفع، فإن القلة التي يُرجى خيرها وبركتها، خير من الكثرة التي لا خير فيها، وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}(البقرة: ٢٤٩) .

والمتدبر في حال الأنبياء يجد أنهم لم يطلبوا من الله تعالى كثرة الأبناء؛ وإنما طلبوا الذرية الصالحة النافعة، فهذا سيدنا إبراهيم (عليه السلام) يدعو ربه قائلًا :{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} (الصافات:١٠٠) ، وهذا سيدنا زكريا (عليه السلام) يدعو ربه راجيًا: {رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً}(آل عمران : ٣٨)، كما جاء في القرآن الكريم طلب عباد

الرحمن الذرية الصالحة النافعة المباركة التي تسعد بها النفوس، وتقر بها الأعين، حيث يقول تعالى:{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}(الفرقان:٧٤) .

ومعلوم أن القلة القوية النافعة خير من كثرة ضعيفة هزيلة، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! فَمِنْ قِلَّةٍ يَوْمَئِذٍ؟! قَالَ: لا، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ) (حلية الأولياء).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الأخذ بأسباب العلم في عملية تنظيم النسل يعد ضرورة شرعية ووطنية، وله أثره في رقي المجتمع، وتقدمه، والمتدبر في قوله (صلى الله عليه وسلم): (تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ) (سنن أبي داود)، يجد أن المباهاة لا تكون بالكثرة الضعيفة التي تعيش عالة على غيرها؛ إنما تكون بالكثرة القوية، الصالحة، النافعة، التي بيَّنها نبينا (صلى الله عليه وسلم) في قوله: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِي خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيف...) (صحيح مسلم).

وهذا ما بيَّنه الصحابة الكرام – وهم خير الناس اقتداءً برسول الله (صلى الله عليه وسلم)– فقد خطب سيدنا عَمْرو بن الْعَاصِ (رضي الله

عنه) قائلا: يا معشر الناس، إياي وخلالا أربعا، فإنها تدعو إلى النَّصَب بعد الراحة، وإلى الضيق بعد السعة، وإلى المذلة بعد العزة، إياي وكثرة العيال، وإخفاض الحال، وتضييع المال، والقيل بعد القال، فى غير درك ولا نوال. (التمهيد لابن عبد البر)، ويقول ابن عمر (رضي الله عنهما): جهدُ البلاءِ: كثرةُ العيالِ مع قلَّة الشَّيءِ.(شرح النووي على صحيح مسلم)

فما أحوجنا إلى الفهم الصحيح لديننا، وواقعنا، وأن نجتهد فنحسن إلى أبنائنا، ونعمل على حسن تربيتهم، وتعليمهم، وإعدادهم؛ ليسهموا في بناء الحضارة، ونهضة البلاد، بفكرٍ واعٍ، وعقلٍ مستنيرٍ، يقدِّر معنى المسئولية، ويقوم بها على أكمل وجه ، وفي أفضل صورة .

* * *

مفهومُ التنميةِ الشاملةِ

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}(التوبة :١٠٥)، وأَشهدُ أنْ لاَ إِلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فقد خلق الله (عز وجل) للإنسان كل أسباب الحياة، فذلل له الأرض ومهَّدها، وقدَّر فيها أقواتها، وجعلها صالحة لقيام حياة كريمة تسع الإنسانية كلها، حيث يقول تعالى: {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ}(الرحمن :١٠)، ويقول سبحانه: {وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ}(الذاريات: ٤٨)، ويقول (جل شأنه): {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا*أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا*مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ}(النازعات٣٠-٣٣).

ولقد أمر الله تعالى الإنسان أن يأخذ بأسباب العلم ليعمر الأرض، ويستثمر الموارد الطبيعية التي خلقها الله سبحانه في الكون، فيحقق التنمية الشاملة التي تعود بالنفع على الفرد والمجتمع، حيث يقول تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ }(إبراهيم ٣٢ ،٣٣)، ويقول سبحانه: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}(لقمان :٢٠)، ويقول (عز وجل): {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ}(الجاثية : ١٣).

ولا شك أن تحقيق الأمن من أهم أسس التنمية الشاملة، حيث ربط الحق سبحانه وتعالى بين الأمن والرزق برباط وثيق، فقال سبحانه: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(القصص : ٥٧)، ويقول سبحانه: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ*إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ*فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ*الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}(قريش:١-٤) ، وقد قدَّم سيدنا إبراهيم (عليه السلام) الأمن على الطعام والشراب في دعائه، حيث يقول تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ}(البقرة : ١٢٦) ، ولا تقوم الحياة ولا يتحقق الرخاء ولا تتقدم الأمم إلا بالأمن، يقول الله سبحانه على لسان نبي الله يوسف (عليه السلام): {ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}(يوسف :٩٩) ، والأمن من أجلِّ نعم الله (عز وجل)، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بحذافيرها) (الآحاد والمثاني).

كما تتحقق التنمية الشاملة باستثمار الطاقات البشرية، وخاصة الشباب، من حيث إعدادهم، وتنمية مواهبهم، وحسن تأهيلهم، والدفع بهم في مجالات العمل المختلفة، ولقد أولى النبي (صلى الله عليه وسلم) الشباب اهتمامًا كبيرًا، ومنحهم الثقة، وتحملهم المسئولية ، وكان الحسن البصري

(رحمه الله) يقول: قدّموا إلينا شبابكم؛ فإنهم أفرغ قلوبًا، وأحفظ لما سمعوا، فمن أراد الله أن يُتِمّه له أتمّه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن تحقيق التنمية الشاملة يتطلب عملًا نافعًا جادًّا يشمل جميع مجالات الحياة، زراعة، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلاَّ كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةً، وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ – يعني: يأخذ منه أحد فينقص – إِلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ)(صحيح مسلم)، أو تجارةً ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (التّاجِرُ الأمينُ الصّدُوقُ مع النّبيّينَ والصِّدِّيقين والشُهداء)(سنن الترمذي)، أو حرفة وصنعة، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى عن سيدنا داود (عليه السلام): {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ} (سبأ:١٠)، ويقول سبحانه:{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ}(الأنبياء:٨٠) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (ما أكَلَ أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا مِنْ أَنْ يَأكُل مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وإِنَّ نبيَّ اللهِ دَاود (عَلَيْه السَّلام) كَانَ يأكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِه) (صحيح البخاري).

ثم إن التنمية الشاملة هي التي تعم أبناء الوطن وربوعه؛ مُدنه وقُرَاه، حضره وبدوه، عواصمه وحدوده، وهي ما تقوم به الدولة المصرية من خلال إنشاء المدن الجديدة، وتطوير المدن القديمة، والمشروعات القومية المتعددة، ومن أهمها مبادرة تنمية الريف المصري.

على أننا نؤكد أنه لا يمكن أن تتحقق التنمية الشاملة بدون نظام عام يضبط للناس حياتهم وفق قوانين تحفظ المجتمع من الفوضى، وما تقدمت دولة من الدول إلا باتباعها النظام، واحترامها القوانين، والتزامها بتطبيقها على الجميع، وتعاون الجميع في الالتزام بهذه القوانين.

* * *

الصلابة في مواجهة الجوائح والأزمات

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(آل عمران: ٢٠٠) ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإننا في استقبال العام الجديد ينبغي لنا أن نتحلى بمزيد من الأمل في الله (عز وجل)، والأمل في غد أفضل، فالأمل حياة، وهو شعاع النور الذي يبدد ظلام اليأس في القلوب، ويبعث في النفس العزيمة، والقوة، والصلابة في مواجهة الجوائح والأزمات، كما أن الأمل وحسن الظن بالله تعالى يشرحان صدر الإنسان للعمل، والعطاء، والجد، والمتأمل في القرآن الكريم يجده مفعمًا بالأمل، حيث يقول الحق سبحانه: {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ}(الحجر : ٥٦)، ويقول تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} (الشرح : ٥ ، ٦).

ولقد اتسمت دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) بالأمل والتفاؤل، فكان (صلى الله عليه وسلم) يبث روح الأمل في قلوب أصحابه بمستقبل مشرق، وغدٍ باهر لا يعرف اليأس، ولا الإحباط، وكان (صلى الله عليه وسلم) يحب الفأل، ويكره التشاؤم، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا) (صحيح مسلم)، ويقول (صلى الله عليه

وسلم): (وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (شعب الإيمان).

لقد مر العالم بأحداث عظيمة، وإن الأمة التي تجعل من الأحداث التي مرت بها دافعا قويًّا إلى الأمل والعمل، وتستفيد من الأزمات والجوائح الدروسَ والعبرَ، إنما تشق طريق العبور نحو مستقبل أفضل، في عالم لا مكان فيه لمن لا يأخذون بأسباب الحياة، بمنتهى الجد، مع اعتمادهم على الله (عز وجل)، ولجوئهم إليه، وحسن توكلهم عليه، فالإنسان مأمور بالأخذ بأسباب الحياة ما دام فيه نفس يتنفسه، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطاعَ أَلَّا يَقُومَ حَتَّى يَغرِسَها فليَغرِسْها)(المنتخب من مسند عبد بن حميد)، وقد قالوا: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا، فما أحوجنا إلى هذا التوازن بين عمارة الدنيا، والأخذ بأسبابها، والعمل على مرضاة الله (عز وجل) في هذه الأسباب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن من الأخذ بالأسباب في مواجهة الأزمات والجوائح : تنفيذ التوجيهات التي تصدر عن مؤسسات الدولة الرسمية ، والأخذ

بالإجراءات الاحترازية التي دعت إليها ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}(النساء : ٥٩) ، ومنها : الأخذ بكل أسباب العلم ليحمي الإنسان نفسه وغيره، ومن الأخذ بأسباب العلم: أن نلتزم بتوجيهات أهل الطب في مواجهة انتشار فيروس (كورونا)، وذلك بالالتزام بجميع الإجراءات الاحترازية الوقائية، وأهمها الحفاظ على مسافات التباعد الاجتماعي.

وعلينا مع الأخذ بالأسباب خاصة في هذه الأيام أن نكثر من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، وأن نذكره سبحانه في كل أحوالنا كما أمرنا، وأن نكثر من الصدقات، يقول سبحانه:{فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا} (الأنعام:٤٣)، ويقول تعالى: {ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} (الأحزاب :٤١)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ) (سنن الترمذي)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاووْا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاءِ الدُّعَاءَ) (المعجم الكبير).

* * *

الأمـــل حيـــاة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}(الطلاق:٧)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِه وصحبِهِ أجمعين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين.

وبعـــد :

فإن الأمل من القيم العظيمة التي دعا إليها الإسلام ، وجعلها جوهر الحياة ، فالأمل هو شعاع النور الذي يبدد ظلام اليأس في القلوب ، وهو الذي يبعث في الإنسان العزيمة والقوة والنشاط ، ويشرح صدره للعمل والعطاء ، والجد والكفاح.

كما أن الأمل ينمي في قلب العبد حسن الظن بالله تعالى ، وقد عدَّ أهل العلم اليأس والتأييس، والإحباط والتحبيط من الكبائر ؛ لما جاء عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) مُتَّكِئًا فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا الْكَبَائِرُ؟ فَقَالَ: (الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالْإِيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ) (مجمع الزوائد) ، وحين أرسل النبي (صلى الله عليه وسلم) أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل (رضي الله عنهما) إلى اليمن أوصاهما قائلًا: (بَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا...) (مسند البزار).

إن الأمة التي تجعل من الأحداث التي مرت بها دافعا قويًا إلى الأمل والعمل، وتأخذ من ماضيها لحاضرها ، وتستفيد من الأزمات والمحن الدروسَ والعبرَ ، وتستثمر وقتها في البناء والتنمية ، إنما تشق طريقها

الصحيح نحو المستقبل؛ لذا كان النبي (صلى الله عليه وسلم) حريصًا في وقت الشدائد على بث روح التفاؤل والأمل في قلوب أصحابه حتى لا تتسارع إلى نفوسهم روح الإحباط أو اليأس ، فعلى الرغم مما تعرض له النبي (صلى الله عليه وسلم) من الأذى هو وأصحابه لم يفارقه الأمل والتفاؤل فيقول (صلى الله عليه وسلم) لهم :(... وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُون) (صحيح البخاري)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)(المعجم الكبير)، فلولا الأمل ما ذاكر طالب ولا اجتهد ، ولولا الأمل ما زرع زارع ولا حصد ، ولولا الأمل ما فكر والد في إنجاب الولد ، ولولا الأمل في الجنة ما افتدى الشهداء أوطانهم بأرواحهم ، يقول الشاعر :

أعلِلُ الـنفس بالآمـالِ أرقُبُها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

ومن يتدبر القرآن الكريم يجده مليئًا بالآيات التي تدعو إلى الأمل والتفاؤل ، فهذا نبي الله نوح (عليه السلام) يتحلى بالأمل مع علو الهمة في دعوته لقومه طمعًا في إيمانهم، فيلبث فيهم داعيًا إلى الله (عز وجل) ألف سنة إلا خمسين عامًا لا يكلّ ولا يملّ، ولا يقنط ولا ييأس، قال تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا} (العنكبوت: ١٤) .

وفي قصة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) نرى الأمل يتدفق تدفقًا واضحًا، في تحقيق رجاء شيخ كبير قد بلغ من الكبر عتيًّا ، وزوجه العجوز التي تخطت سن الإنجاب، حيث يقول الحق سبحانه على لسان إبراهيم

(عليه السلام) : {أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ}(الحجر : ٥٤ ـ ٥٦).

ولقد اتسمت دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) بالأمل والتفاؤل ، فكان ديدنه (صلى الله عليه وسلم) بث روح الأمل في قلوب أصحابه بمستقبل مشرق ، لا يعرف شيئًا من اليأس أو الإحباط ؛ لأن الإنسان يميل بطبعه إلى كل ما يبث في قلبه روح البشرى ، والأمل ، والرجاء في تحقيق مطلوبه، فكان (صلى الله عليه وسلم) يحب الفأل، ويكره التشاؤم، ففي الحديث الشريف أنه (صلى الله عليه وسلم) قال : (بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا) (صحيح مسلم) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الأمل الذي دعا إليه الإسلام هو الأمل الذي يحمل الإنسان على العمل؛ لأن الأمل بلا عمل أمل أعور أو أعرج لا طائل منه ، ولا فائدة ، وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول :" لَا يَقْعُدُن أَحَدُكُمْ عَنْ طَلَبِ الرِّزْقِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تُمْطِرُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً "، وقال الحسن البصري: " ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن

ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، وإن قومًا خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، قالوا : نحسن الظن بالله . وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل".

ولا يفوتنا أن نذكر بأن شهر الله المحرم موسم من مواسم الطاعات التي ينبغي للإنسان أن يجتهد فيها، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللهِ المُحَرَّم"(صحيح مسلم)، وقد خُصَّ يوم العاشر منه – يوم عاشوراء– بمزيد من الفضل، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاء أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنَّهُ يُكَفِّرُ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ "(صحيح مسلم) ، ويستحب أيضًا صيام يوم قبله ، أو يوم بعده ، أو يوم قبله ويوم بعده .

* * *

العلــم والإيمـــــان

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(المجادلة : ١١) ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعــد:

فلا شك أنه لا تناقض بين الإيمان والعلم على الإطلاق، فالعلم قائم على الأخذ بالأسباب، والإيمان يدعونا إلى الأخذ بأقصى الأسباب، وكان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: "لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة"، وفي حديث نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُوا خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا) (مسند الإمام حمد)، قال أهل العلم وشرّاح الحديث: إن الطير تأخذ بالأسباب، فتغدو وتروح، ولا تقعد في مكانها وتقول: اللهم ارزقني.

ونقل بعض الرواة أن أحد الناس خرج في تجارة فلجأ إلى حائط بستان للاستراحة فيه، فوجد طائرًا كسير الجناح، فقال: يا سبحان الله، ما لهذا الطائر الكسير كيف يأكل؟ وكيف يشرب؟ وبينما هو على هذه الحال إذا بطائر آخر يأتي بشيء يسير من الطعام فيضعه أمام الطائر كسير الجناح، فقال: يا سبحان الله، سيأتيني ما قسمه الله لي، فقال له صاحبه:

كيف رضيت لنفسك أن تكون الطائر المسكين الكسير مهيض الجناح؟ ولم تسع لأن تكون الطائر الآخر القوي الذي يسعى على رزقه ويساعد الآخرين من بني جنسه، وقد قال أحد الحكماء: لا تسأل الله أن يخفف حملك، ولكن اسأله سبحانه أن يقوي ظهرك.

ويقول الحق سبحانه :{فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}(الملك : ١٥)، ولم يقل: اقعدوا وسيأتيكم الرزق حيث كنتم، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (تداوَوا عبادَ اللَّهِ، فإنَّ اللَّهَ سبحانَهُ لم يضع داءً إلَّا وضعَ معَهُ شفاءً إلَّا الْهرمَ) (سنن ابن ماجه)، ولم يقل أحد على الإطلاق: إن الدعاء بديل الدواء، إنما هو تضرع إلى الله (عز وجل) بإعمال الأسباب التي أمرنا (سبحانه وتعالى) بالأخذ بها لنتائجها.

وعلينا ونحن نأخذ بأقصى الأسباب ألا ننسى خالق الأسباب والمسببات ، مَنْ أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، فنجمع بين أسباب العلم وأسباب الإيمان معًا، مؤكدين أنه لا تناقض بينهما، بل الخير كل الخير والنجاء كل النجاء أن نحسن الجمع بينهما والأخذ بهما معًا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .

إخوة الإسلام:

إن العلم الذي رغَّب فيه الإسلام يشمل كل علم ينفع الناس في شئون دينهم ، وشئون دنياهم ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ

وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ) (سنن الترمذي) ، و " الخير" شامل لكل علم ينفع الناس .

فبالعلم والعمل تنهض الأمم، وتنال مكان الصدارة، ولا يمكن لها أن تقضي على التخلف والأمراض والفقر إلا بالعلم، والواقع خير شاهد على أن الأمم والدول التي اعتمدت العلم والتخطيط والنظام والفكر وإعمال العقل سبيلًا لنهضتها صارت في مقدمة الأمم، وأن غيرها ممن تقاعست بقيت في ذيل الأمم، فالعلم ضرورة مُلِحَّة، وحاجة ماسَّة لتحقيق مصالح البلاد والعباد، ولله در القائل:

بِالعِلْمِ وَالمَالِ يَبْنِي النَّاسُ مُلْكَهُمُ ** لَمْ يُبْنَ مُلْكٌ عَلَى جَهْلٍ وَإِقْلَالِ

* * *

الأسباب الظاهرة والباطنة لرفع البلاء

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}(الممتحنة:٤)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين.

وبعد:

فالابتلاء من سنن الله (عز وجل) في الخلق ، يقول سبحانه : {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} (الإنسان : ٣).

وقد جعل الله تعالى لرفع البلاء أسبابًا ظاهرةً وباطنةً؛ أما **الأسباب الظاهرة** التي يجب الأخذ بأقصى درجة منها – وكأنها كل شيء – فهي أسباب العلم ، واحتياطات أهل الاختصاص، وتنفيذ التوجيهات التي تصدر عن مؤسسات الدولة الرسمية، فطاعة ولي الأمر ومن يفوضه ، أو ينوب عنه من مؤسسات الدولة الوطنية واجبة، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}(النساء : ٥٩)، يقول سبحانه: {فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}(النحل: ٤٣) وأهل الذكر هنا هم أهل الاختصاص في كل مجال ؛ ومن ثمة يجب شرعًا عدم الافتئات على أي مؤسسة من مؤسسات الدولة في مجال اختصاصها.

ومن الأسباب الظاهرة: **الاهتمام بالنظافة** ، فقد عني الإسلام بالنظافة ، بصفة عامة وجعلها ضرورة شرعية لحماية الإنسان من الأمراض والأضرار ، يقول الحق سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ

الْمُتَطَهِّرِينَ}(البقرة:٢٢٢)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ...) (صحيح مسلم)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (طَهِّرُوا أَفْنِيَتَكُمْ) (المعجم الأوسط)؛ والأفنية تشمل فناء البيت، وفناء المدرسة، والمصنع، والطرق، والميادين، وغيرها.

كما عُني الإسلام بغسل اليدين عناية خاصة عند كل وضوء، حيث يقول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا}(المائدة : ٦)، فغسل اليدين مع المرفقين أحد فرائض الوضوء، يضاف إلى ذلك أنه يسن بدء الوضوء بغسل اليدين ثلاثًا يتبع ذلك المضمضة فالاستنشاق فغسل الوجه ثم غسل اليدين مرة أخرى مع المرفقين على سبيل الفرض، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلا يُدْخِلْ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلاثًا) (سنن أبي داود)، كما يستحب غسل اليدين قبل الأكل وبعده ؛ وفي ذلك ما يؤكد أنه لا تعارض بين العلم والدين، فالحفاظ على صحة الإنسان من صميم مقاصد الأديان، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ)(سنن ابن ماجه)، فيجب اتباع كل الإجراءات الاحترازية للوقاية من انتشار الأمراض والأوبئة، ومن ذلك منع المعانقة والتقبيل، وتقليل المصافحة، والبعد عن التجمعات.

ونؤكد أن الأزمات والمواقف الحرجة هي التي تظهر معادن الناس وتظهر حقيقة أخلاقهم، فعلينا جميعًا أن نتراحم فيما بيننا، وأن نبتعد كل البعد عن الأثرة، والأنانية، وعن كل أنواع الاحتكار من البائع قصدَ رفع

سعر السلع، أو الشره في الشراء والأنانية فيه من جانب المشتري، بما يخل بتوازن العرض والطلب، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَحْتَكِرُ إِلا خَاطِئٌ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (المُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ) (مصنف عبد الرزاق)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (صحيح البخاري).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وآله ، وصحبه ، والتابعين .

إخوة الإسلام:

أما الأسباب الباطنة التي ينبغي أن تكون دائمًا نصب أعيننا، فمنها : حسن التوكل على الله، يقول سبحانه: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (آل عمران : ١٥٩)، والتوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب، فقد قال رجل يا رسول اللّه، أعقلها، وأتوكّل، أو أطلقها، وأتوكّل؟ -لناقته- فقال (صلى الله عليه وسلم): (اعْقِلْهَا، وَتَوكّلْ) (سنن الترمذي)، فالواجب علينا في وقتنا هذا أن نأخذ بأسباب العافية، والاحتياطات العلمية المعتبرة، ثم نرد الأمر كله إلى الله (عز وجل) الذي بيده ملكوت كل شيء، فذلك توكل لا تواكل.

ومنها: الدعاء والتضرع إلى الله (عز وجل)، يقول تعالى: {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا}(الأنعام : ٤٣)، فما أحوجنا جميعا إلى التضرع بصدق إلى الله (عز وجل) أن يرفع البلاء عن البلاد والعباد والبشرية جمعاء ، وأن تكون فرصة لأن يراجع كل منا علاقته بربه.

ومنها: أن يحصن الإنسان نفسه بذكر الله تعالى، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ : بِسْمِ اللهِ الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ) (سنن الترمذي)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ) (صحيح مسلم)، ومنها: الصدقة، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوَوْا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاءِ الدُّعَاءَ) (المعجم الكبير للطبراني).

* * *

الوقاية خير من العلاج

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}(المائدة:٢)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، الذي كان من دعائه: (اللَّهمَّ عافِنِي في بَدَني، اللَّهمَّ عافِنِي في سَمْعي، اللَّهمَّ عافِنِي في بَصَري...) (سنن أبي داود)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّين.

وبعــد:

فإن من عظمة الشريعة الإسلامية أنها أمرت بكل خير ينفع الإنسان، ونهت عن كل شر يضره، والمتأمل في النصوص الشرعية يجد أنها أولت صحة الإنسان عناية خاصة، وأمرت بالحفاظ عليها، كما دعت إلى اجتناب كل ما يمكن أن يكون سببًا في مرض الإنسان، أو ضعفه، حيث يقول تعالى: {وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}(البقرة : ١٩٥)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لا ضَرَرَ وَلا ضِرَار) (سنن ابن ماجه، مسند الإمام أحمد)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعيفِ، وَفي كُلٍّ خَيرٌ ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجِزْ...) (صحيح مسلم).

ومما لا شك فيه أن الصحة والعافية من أعظم نعم الله تعالى على عباده، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ) (صحيح البخاري)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (اغتنِمْ خمسًا قبل خمسٍ : شبابَك قبل هَرَمِك، وصِحَّتَك قبل

سَقَمِك ، وغناك قبل فقرِك ، وفراغَك قبل شُغلِك ، وحياتَك قبل موتِك) (السنن الكبرى)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (اسْأَلُوا اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ)(سنن الترمذي).

ومن صور الحفاظ على نعمة الصحة والعافية التي حرص عليها الإسلام: الأخذ بأسباب الوقاية، فالوقاية خير من العلاج، بل إن الوقاية هي العلاج، وقد قالوا: درهم وقايةٍ خيرٌ من قنطار علاجٍ، ومن أساليب الوقاية التي حث عليها الإسلام، وجعلها ضرورة شرعية لحماية الإنسان من الأمراض: الاهتمام بالنظافة العامة، حيث يقول سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}(البقرة :٢٢٢)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ...) (صحيح مسلم)، ويقول (صلى الله عليه وسلم):" طَهِّرُوا أَفْنِيَتَكُمْ " (المعجم الأوسط)، والأفنية تشمل: فناء البيت ، وفناء المدرسة، والمصنع، والطريق، وغيرها.

وكما حرص الإسلام على النظافة العامة، فقد حرص على النظافة الشخصية، حيث يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا}(المائدة : ٦)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلا يُدْخِلْ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلاثًا) (سنن أبي داود)، كما أنه يستحب غسل اليدين قبل الأكل وبعده، فقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) إذا أراد أن يأكل أو يشرب غسل يديه، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي- أَوْ عَلَى النَّاسِ- لَأَمَرتُهمْ بِالسِّواكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ)(صحيح البخاري).

ومن أساليب الوقاية: تجنب مخالطة المرضى، وعزلهم عن الأصِحَّاء، يقول (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ فِيهَا، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا)(صحيح البخاري)، ويقول (صَلى الله عليه وسلم): (لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ علَى مُصِحٍّ)(صحيح البخاري) ، ومن هنا فينبغي لمن يشعر بأعراض مرضية، أن يبتعد عن مخالطة الناس، حتى يمنَّ الله تعالى عليه بالشفاء، كما يجب اتخاذ كل الإجراءات الاحترازية لمنع انتشار الأمراض، ومنها: منع المعانقة والتقبيل، وتقليل المصافحة، والبعد عن التجمعات.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الوقاية لا تتنافى مع الإيمان والتوكل على الله سبحانه، فقد قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) للأعرابى الذى سأله عن ناقته: أعقِلُها وأتوَكَّلُ أو أطلِقُها وأتوَكَّلُ ؟ فقالَ (صلى الله عليه وسلم) : (اعقِلها، وتوَكَّلْ) (سنن الترمذي)، والتوازن بين الأخذ بالأسباب والتسليم بقضاء الله وقدره لا يقف عند حدود عقل الناقة مع حسن التوكل، فنحن في ظروفنا الحالية نقول: ارتد الكمامة وتوكل على الله، نظف يديك وتوكل على الله، تجنب المصافحة وتوكل على الله ، حقق التباعد الاجتماعى وتوكل

على الله ، خذ بجميع الإجراءات الاحترازية وتوكل على الله ، وهكذا في سائر الأمور الحياتية ، وبهذا نكون قد فهمنا وحققنا وطبقنا معنى قول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ) (سنن الترمذي).

* * *

الإمام الشافعي
ودوره التجديدي في عصره

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ}(المجادلة :١١)، وأَشهدُ أنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ القائل: (إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا) (سنن أبي داود)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين.

وبعــد:

فإن العلماء مصابيح الدجى، ومنارات الهدى، ودعاة الحق، وهم ورثة الأنبياء، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالحِيتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ) (سنن أبي داود).

وإن من فضل الله سبحانه على أمتنا أن جعل منها علماء مجددين، فقهوا مراد الله تعالى ومراد رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، وبيَّنوه للناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) (صحيح البخاري) ، ومن أعظم العلماء

المجددين: الإمام محمد بن إدريس الشافعي، ثالث الأئمة الأربعة، وواسطة العقد بينهم، حيث تلقى العلم على يد الإمام مالك بن أنس (رحمه الله)، إلى جانب اتصاله بتلاميذ الإمام أبي حنيفة (رحمه الله) وقراءة كتبهم، وكان أستاذًا للإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله).

وقد بنى الشافعي (رحمه الله) مذهبه على فهم مقاصد كتاب الله تعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وفهم الواقع، وكان (رحمه الله) نافذ النظر، دقيق الاستنباط، قوي الحجة، فصيح اللسان، ناصع البيان، وقد بعث إليه الإمام أبو يوسف - صاحب أبي حنيفة (رحمه الله) - قائلا: صَنِّف الكتب؛ فإنك أولى مَن يصنِّف في هذا الزمان، وقال عنه الإمام أحمد (رحمه الله): ما أحدٌ مسَّ بيده محبرة ولا قلمًا- بعد الشافعي- إلا وللشافعي في رقبته منّة، وقال عنه أيضًا: كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن .

ولقد حبا اللهُ تعالى الشافعيَّ (رحمه الله) عقلًا واعيًا ، فلم يكن مقلدًا، ولم يقف عند حدود النص؛ بل نظر إلى مراميه ومقاصده ، لذا اعتبره أهل العلم مجدد القرن الثاني الهجري ، وقد راعى (رحمه الله) في منهجه التجديدي الزمان ، والمكان ، وأحوال الناس ، وعاداتهم ، وطبائعهم.

ولذلك فقد مرَّ مذهبه (رحمه الله) بمراحل؛ حيث اختلفت بعض آرائه الفقهية في مصر فيما عرف بالمذهب الجديد عنها في العراق فيما عرف بالمذهب القديم؛ مراعاة لظروف البيئة وأحوال الناس .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لقد كان الإمام الشافعي (رحمه الله) جامعة علمية؛ فقد جمع بين علوم التفسير، والحديث، والفقه، وأصوله، والنحو ، والشعر، والعروض، وعلى الرغم من سعة علمه وقوة حجته، فلم يكن متحجرًا ولا متعصبًا لرأيه؛ بل كان (رحمه الله) يقبل آراء غيره من العلماء إذا وافق الحق، وكان من أشهر أقواله: إذا صح الحديث فهو مذهبي، ويقول: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، ويقول: إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث، واضربوا بكلامي عرض الحائط.

فما أجمل التواضع في العلم، والأدب في الحوار، والفهم العظيم لمقاصد الشرع الحنيف، ومراعاة أحوال الناس وظروف عصرهم وبيئتهم، وهو ما جسَّده الإمام الشافعي في آرائه الفقهية ومسلكه الحياتي، وكان إلى جانب ذلك أديبًا وشاعرًا، ومن أشعاره:

ومنْ لم يذق مرّ التعلمِ ساعةً * * تجرّعَ ذلَّ الجهل طولَ حياته
فذَاتُ الْفَتَى واللَّهِ بالْعِلْمِ والتُّقَى* * و إذا لم يكونا لا اعتبار لذاتهِ

ويقول :

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ ** سَأُنْبيكَ عن تفصيلها ببيانِ
ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبُلغةٌ ** وصحبةُ أستاذٍ وطولُ زمانِ

* * *

حديث القرآن الكريم
عن الصدق والصادقين

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}(التوبة : ١١٩)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعـــد:

فإن من عظمة الشريعة الإسلامية أنها دعت إلى القيم النبيلة ، والأخلاق الفاضلة التي تقرب الإنسان إلى ربه ، وتسهم في بناء المجتمعات الراقية ، ومنها : خلق الصدق الذي جاء في القرآن الكريم في مواضع التشريف ، والتكريم ، والإجلال ، ولا أدل على ذلك من أن الله سبحانه وتعالى وصف به نفسه، حيث يقول (عز وجل) : {قُلْ صَدَقَ اللَّهُ}(آل عمران : ٩٥) ، ويقول سبحانه: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا}(النساء :١٢٢)، ويقول تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}(النساء :٨٧)، ويقول (جل شأنه): {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ}(آل عمران : ١٥٢)، ويقول تعالى:{وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ}(الأحزاب :٢٢).

وقد بين القرآن الكريم أن الصدق من صفات الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، فهم المبلِّغون عن الله (عز وجل) رسالاته ، حيث يقول سبحانه :{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا}(مريم : ٤١)، ويقول تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ} (مريم:

٥٤)، ويقول سبحانه:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} (مريم:٥٦)، ويقول (عزوجل) :{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ...}(يوسف:٤٦).

وقد وصف الله تعالى نبينا (صلى الله عليه وسلم) في القرآن بالصدق؛ فقد جاء به، ودعا إليه، حيث يقول (عز وجل) : { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ} (الزمر : ٣٣) ، ويقول سبحانه : {بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ} (الصافات:٣٧)، وقد كان صدقه (صلى الله عليه وسلم) سجية عُرف بها حتى قبل بعثته، ولذلك كان يلقب بالصادق الأمين، وقد جعل (صلى الله عليه وسلم) الصدق منهج حياة .

كما جعل القرآن الكريم الصدق من صفات المؤمنين، حيث يقول الحق سبحانه : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}(الأحزاب:٣٥) ، ويقول سبحانه:{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (الحشر : ٨)، ويقول سبحانه: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}(الأحزاب: ٢٣، ٢٤)، ويقول تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}(الحجرات:١٥).

إن الصدق خير كله، حيث يقول سبحانه: {فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ}(محمد:٢١)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ) (مسند الإمام أحمد)، والصدق أحد أهم ركائز الإيمان، حتى إن بعض العلماء قد ربطوا بين الإيمان والصدق، فقالوا: الإيمان أن تقول الصدق مع ظنك أن الصدق قد يضرك، وألا تقول الكذب مع ظنك أن الكذب قد ينفعك؛ ليقينك أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، كما أن الكذب أبرز صفات المنافقين، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) (صحيح البخاري).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لقد جاء الصدق في القرآن الكريم شاملًا كل أعمال البر والخير، حيث يقول الحق سبحانه: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ

السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}(البقرة:١٧٧) .

وقد وعَد الله تعالى الصادقين بأعظم الجزاء، وأفضل الثواب، حيث يقول سبحانه: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(المائدة:١١٩)، وجعَل الحق سبحانه وتعالى مرتبة الصِّديقين بعد مرتبة النبيين، وجعلهم في صحبة الشهداء والصالحين في الجنة، يقول تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}(النساء : ٦٩)، وسُئل نبينا (صلى الله عليه وسلم): ما عَمَلُ الجَنَّةِ؟ قال(صلى الله عليه وسلم): " الصِّدْقُ ، وَإِذَا صَدَقَ العَبْدُ برَّ ، وَ إِذَا برَّ آمَنَ، وَإِذَا آمَنَ دَخَلَ الجَنَّةَ) (مسند الإمام أحمد).

* * *

حديث القرآن
عن بُغاة الفتنة والمفسدين في الأرض

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (القصص:٨٣)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يوم الدِّينِ.

وبعد:

فقد أمر القرآن الكريم بكل خير وإصلاح، ونهى عن كل شر وإفساد، حيث يقول تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}(الأعراف: ٥٦)، كما بيَّن سبحانه أنه لا يحب الفساد ولا المفسدين، يقول عز وجل: {واللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ}(البقرة : ٢٠٥)، ويقول سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}(القصص: ٧٧)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (فَأَمَّا مَن ابْتَغَى وَجْهَ اللَّهِ، وَأَطَاعَ الْإِمَامَ، وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ – أي: من كريم ماله – وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ – أي: كان سمحًا هينًا – وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ) (سنن النسائي).

وإنَّ المتأمل في القرآن الكريم يجد أنه قد أولى الحديث عن بغاة الفتنة، والمفسدين في الأرض عناية خاصة ؛ وذلك لبيان ضلالهم ، وإظهار خطرهم على الأديان والأوطان ، فقد أخبرنا سبحانه وتعالى أن الأنبياء وأهل الفضل في كل زمان ومكان ينهون عن الفساد، ويحذرون من المفسدين، يقول تعالى: {وَقَالَ مُوسَى لأخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي

قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ}(الأعراف : ١٤٢) ، ويقول سبحانه وتعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ}(هود : ١١٦).

وقد بيَّن لنا الحق سبحانه صفات المفسدين والبغاة، ومنها: الكذب، والتدليس، وادِّعاء الصلاح، والإصلاح، حيث يقول تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ}(البقرة :٢٠٤ ـ ٢٠٥)، ويقول تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ}(البقرة : ١١ ، ١٢) ، ويقول تعالى : {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}(الكهف:١٠٣ـ ١٠٤).

ومنها: **الإرجاف في الأوطان**، **ونشر الشائعات**، وبث الفتنة والوهن بين الناس عن طريق وسائل الإعلام الموجهة، ووسائل الاتصال الحديثة، يقول (جل شأنه) :{لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا}(الأحزاب :٦٠)، ويقول تعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}(التوبة: ٤٧)، ويقول سبحانه:{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا}(الأحزاب:١٨).

ومنها: **التواصل مع الأعداء** ، والتحالف معهم على حساب الدين والوطن، والفرح إذا ألمَّ بأبناء الوطن شرّ، أو تفشَّى فيهم مرض، يقول تعالى: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}(المائدة :٥٢)، ويقول سبحانه : {وَإِنّ مِنْكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا}(النساء ٧٢-٧٣) ، ويقول تعالى: {إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}(آل عمران: ١٢٠).

وذلك الفساد الظاهر والحقد البيِّن نابع من فساد القلوب، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (ألاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَت صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألاَ وَهِيَ القَلْبُ)(صحيح البخاري).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الاسلام:

إن مواجهة الفساد أحد أهم دعائم الحكم الرشيد؛ فالمفسدون، والبغاة ،

والمعوِّقون لمسيرة الخير والإصلاح مِعول هدم للمجتمع، ولا بد من التصدي لهم بكل حزم وقوة، فهم شرار الخلق، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ) (مسند الإمام أحمد).

وقد بيَّن القرآن الكريم جزاء بغاة الفتنة والمفسدين في الدنيا، ومصيرهم في الآخرة ، حيث يقول سبحانه: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(المائدة:٣٣)، ويقول (عز وجل): {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}(الرعد:٢٥)، ألا لا يظننَّ باغٍ أو مفسد أنه إن نجا أو أفلت من حساب الناس فإنه سيفلت من حساب الخالق (عز وجل).

* * *

الحق في القرآن الكريم وتطبيقاته في حياتنا

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز: {وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}(الإسراء : ١٠٥)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد:

فقد تحدث القرآن الكريم عن الحق حديثًا وافيًا؛ لما له من أثر بارز في استقامة الحياة، وضبط موازينها، ولا أدلَّ على ذلك الإجلال من أن الله تعالى سمى به نفسه، حيث يقول سبحانه:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ} (الحج : ٦)، ويقول (عز وجل): {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}(المؤمنون: ١١٦)، ويقول سبحانه: {ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ}(الأنعام: ٦٢)، ويقول (جل وعلا) :{وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ}(النور : ٢٥)، ويقول (جل شأنه) :{قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}(يونس: ٣٥)، وكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقوم إِلَى الصَّلاَةِ في جَوْفِ اللَّيْلِ، ويناجي ربه قائلًا : (أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ...) (متفق عليه).

وقد أتى الحق في القرآن الكريم معبِّرًا عن الرسالات التي جاءت بها الرسل، حيث يقول تعالى: {لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ}(الأعراف:٤٣) ،

وجاء التعبير هنا بالحق مفردًا؛ لأن مصدر الرسالات واحد، وجوهرها واحد، يقول تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}(الأنبياء:٢٥).

وقد جاء نبينا (صلى الله عليه وسلم) بالحق، وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يقول (جل شأنه): {بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ}(الصافات : ٣٧) ، ويقول سبحانه : {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ}(الأنعام : ٦٦)، ويقول سبحانه: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ}(البقرة : ٢٦).

كما عبَّر القرآن الكريم بالحق عن السمعيات التي أخبر بها الرسل (عليهم السلام)، وتبدأ من الموت الذي هو حق، حيث يقول تعالى: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ}(ق : ١٩)، ويوم القيامة حق؛ لأنه آتٍ لا محالة، يقول تعالى: {ذَلِكَ اليَوْمُ الحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا} (النبأ : ٣٩) ، ويقول سبحانه: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}(الواقعة : ٨٣ـ٩٦) .

كما أن الجنة حق والنار حق، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَن قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له ، وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

ورَسولُهُ، وأنَّ عِيسَى عبدُ اللهِ ، وابنُ أمَتِهِ ، وكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ منه ، وأنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ ، وأنَّ النَّارَ حَقٌّ ، أدْخَلَهُ اللَّهُ مِن أيِّ أبْوابِ الجَنَّةِ الثَّمانِيَةِ شاءَ) (صحيح مسلم).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الاسلام:

ومن أهم الحقوق في القرآن الكريم حق المال؛ سواء أكان زكاة أم صدقة ، حيث يقول تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}(المعارج : ٢٤، ٢٥) ، ويقول سبحانه: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} (الذاريات : ١٩)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ لِمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ فَهْوَ كَالآكِلِ الَّذِي لاَ يَشْبَعُ وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (متفق عليه واللفظ للبخاري) .

كما أن حقوق الميراث من أهم الحقوق التي أولاها القرآن الكريم عناية خاصة ، فلم يترك الله تعالى لأحد من خلقه قضية تقسيمها، بل سماها حدودًا ، ووَعَدَ مَن يقيمها بالخلود في الجنة والفوز العظيم ، كما توعد سبحانه من يعتدي عليها بالخلود في النار والعذاب المهين، يقول

تعالى:{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ}(النساء:١٣، ١٤).

فما أحوجنا إلى الوعي بأهمية الحق، واتباعه ، وإحقاقه، والتواصي به، والوفاء بحق الوالدين ، وحق الأبناء ، وحق الجوار ، وسائر الحقوق ، استعدادًا ليوم الحق يومَ لقاء الحق سبحانه ، وهذا شأن المؤمنين الصادقين ، حيث يقول سبحانه وتعالى : {وَالْعَصْرِ إِنّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (العصر : ١ ـ ٣).

* * *

مكارم الأخلاق وأثرها في بناء الحضارات

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(النحل :٩)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن الدعوة إلى مكارم الأخلاق من القواسم المشتركة بين جميع الأديان السماوية، فحيثما وُجدت الأخلاق وُجد صحيح الدين، وها هو نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) قد ختم الله (عز وجل) به الرسالات السابقة، ليجمع مكارم الأخلاق ويتممها، حيث يقول سبحانه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}(الأنعام :٩٠)، ويقول تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(القلم:٤)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) عن نفسه: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)(مسند البزار).

والمتأمل في حياة نبينا (صلى الله عليه وسلم) يجد أنها كانت تطبيقًا عمليًّا لأخلاق القرآن الكريم وقِيَمِه السامية، التي تتسق والفطرة الإنسانية السوية، فحينما سئلت السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن أخلاقه (صلى الله عليه وسلم)، قالت : (كان خُلُقُه القُرآنَ) (مسند الإمام أحمد)، فكان (صلى الله عليه وسلم) قرآنًا يمشي على الأرض.

كما أن المتدبر في العبادات التي أمر بها الإسلام يجد أنها جاءت لترتقي بالأخلاق ، وتهذبها ، فما من فريضة فرضها الإسلام إلا ولها أثر

أخلاقي يعود على من يقوم بها، وعلى المجتمع كله؛ يقول سبحانه: {إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ}(العنكبوت : ٤٥) ، ويقول تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}(التوبة : ١٠٣)، ويقول (جل شأنه): {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(البقرة : ١٨٣)، ويقول (عز وجل) : {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ}(البقرة : ١٩٧).

إنَّ الأخلاق الفاضلة من أهم ركائز قيام الدول والحضارات، واستقرارُ الدول ودوامُها يعود إلى مدى تمسكها بالقيم النبيلة والأخلاق الحميدة، وقد خلَّد التاريخ بحروف من نور النجاشي ملك الحبشة ، الذي اشتهر بالعدل ومكارم الأخلاق ، فحينما اشتد أذى المشركين لنبينا (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ، أشار عليهم (صلى الله عليه وسلم) أن يهاجروا إلى الحبشة؛ لعلمه أن ملكها صاحب أخلاق راقيةٍ، ومبادئ قويمة، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ مَلِكًا لا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ ، فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ ، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا، وَمَخْرَجًا)(السنن الكبرى للبيهقي) .

إنَّ الأمم والحضارات لا يمكن أن تبنى بناءً سديدًا إلا إذا اعتمدت في أسس بنائها على مكارم الأخلاق ؛ فلا تتقدم أمة بدون الصدق والأمانة ، ولا يستقيم بنيانها بدون الانضباط السلوكي ، ولا تقوى بدون الإعداد، والشجاعة ، ولا تتآلف بدون التآخي، والتكاتف، فالأمة الواحدة تشبه الجسد الواحد الذي يتعاون أعضاؤه على خدمته ، وسلامته ، ولا

يكتمل الإيمان إلا باكتمال التحابِّ، والتآلف، والتعاون، حيث يقول تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (المائدة:٢)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)(متفق عليه، واللفظ لمسلم)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (متفق عليه ، واللفظ للبخاري).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الاسلام:

إن التحلي بمكارم الأخلاق صمام أمان للمجتمعات من الانحلال والفوضى والضياع ، وبزوالها تسقط الأمم ، فكم من حضارات انهارت بتردي أخلاقها ، وقد ذكر القرآن الكريم نماذج لأمم هلكت بسبب بعدها عن الأخلاق ، حيث يقول سبحانه: {وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}(الذاريات : ٤٦) ، ويقول تعالى: {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}(فصلت : ١٥)، ويقول (جل شأنه) : {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ

أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ}(العنكبوت ٢٨ ـ ٣٠).

والمتأمل في جوهر الحضارة الإسلامية يجدها حضارة قيم وأخلاق، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُه) (سنن أبي داود) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (أَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إِلَى اللهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) (مسند الإمام أحمد) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا) (سنن الترمذي).

فما أحوجنا إلى التحلي بمكارم الأخلاق ، حتى نسهم في رقي بلادنا، وتقدمها ، ونهضتها ، فالأخلاق سياج الأمم ، وميزان تقدمها ورقيها ، وعنوان عظمتها وخلودها .

* * *

كيف نستعيد قيمنا وأخلاقنا الجميلة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}(الفرقان:٦٣)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، القائل في حديثه الشريف: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الأَخْلاقِ) (متفق عليه).

وبعد:

فقد جاء الإسلام برسالة عظيمة، جمعت بين القيم الفاضلة والمُثُل العالية، فلم تترك فضيلة من الفضائل ولا قيمة من القيم تسمو بها النفوس إلا دعت إليها، وحثَّت على التمسك بها ، وما تركت خلقًا ذميمًا إلا نهت عنه ، ولقد كان (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى في القيم النبيلة والأخلاق العظيمة ، حيث وصفه ربنا سبحانه وتعالى بقوله : {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(القلم : ٤)، فكان (صلى الله عليه وسلم) أحسن الناس خلقًا، وأكثرهم محبة ورأفة ، وحلمًا وعفوًا ، وأصدقهم حديثًا ، وأوفاهم عهدًا وذمة .

ولقد غرس النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه القيم العظيمة في نفوس أصحابه، فقد سُئِلَ (صلى الله عليه وسلم) عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: (تَقْوى اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُق) (مسند الإمام أحمد)، ووجه نبينا (صلى الله عليه وسلم) أمته إلى العديد من القيم والأخلاق النبيلة ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (من نفَّسَ عن مؤمِنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنهُ كربةً من كُرَبِ يومِ القيامة ، ومن يسَّرَ على مُعسرٍ يسَّرَ اللهُ

عليهِ في الدنيا والآخرة ، ومن سترَ مُسلِمًا سترهُ اللهُ في الدنيا والآخرة، واللهُ في عوْنِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عوْنِ أخيهِ)(صحيح مسلم)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (أَحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ (عزَّ وجلَّ) سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ ، تَكشِفُ عنه كُربةً ، أو تقضِي عنه دَيْنًا ، أو تَطرُدُ عنه جوعًا ، ولأَنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجةٍ أَحَبُّ إليَّ من أن اعتكِفَ في هذا المسجدِ - يعني: مسجدَ المدينةِ- شهرًا ، ومن كظم غيظَه ولو شاء أن يُمضِيَه أمضاه ملأ اللهُ قلبَه يومَ القيامةِ رِضًا ، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يَقضِيَها له ثبَّتَ اللهُ قدمَيه يومَ تزولُ الأقدامُ) (المعجم الكبير للطبراني).

فما أحوجنا إلى أن نجعل هذه القيم والأخلاق منهج حياة، وسلوكًا عمليًّا نتعايش به في مجتمعنا، ومع الناس جميعًا، فمن أراد الدين الحق والإنسانية الحقة، فليظهر أخلاقه للناس، فيحترم الكبير، ويعطف على الصغير، ويُجِلّ العالم، ويبتعد عن الكذب، والخيانة، والغش، وأكل أموال الناس بالباطل، ويلتزم الصدق، والأمانة، ويتعامل بالحسنى مع الناس، وذلك مقصد الدين وهدفه، يقول تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (فصلت:٢٣).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

إخوة الإسلام:

إن من سبل استعادة قيمنا وأخلاقنا الجميلة: غرس هذه القيم في نفوس الشباب، فهم عماد الأمة، وقلبها النابض، وأملها في مستقبل مشرق، ولقد حكى القرآن الكريم ما كان من لقمان الحكيم مع ابنه، حيث غرس فيه الجوانب الأخلاقية، وحثّه على الإصلاح والعطاء، قال تعالى : {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} (لقمان ١٧-١٩) .

وعلى كل منا أن يبدأ بنفسه ، وأن يكون قدوة في أخلاقه وسلوكه حيث حل وحيث ارتحل ، وحيث كان ، وحيث أقام.

* * *

الصدق في الأقوال والأفعال والهِمم

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}(التوبة:١١٩)، وأَشهدُ أَنْ لاَ إلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أَنَّ سيَّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، القائل: (أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ) (مسند الإمام أحمد)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعــد:

فإن الصدق من القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة التي دعت إليها شريعة الإسلام، وقد جاء رسولنا (صلى الله عليه وسلم) بالصدق، وجعله سلوكًا يتعايش به الناس، يقول تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}(الزمر:٣٣).

ومن علامة صحة الإيمان أن يقول الإنسان الصدق مع ظنه أن الصدق قد يضره، وألا يقول الكذب مع ظنه أن الكذب قد ينفعه، وأن يكون إخلاصه وإتقانه فى السر كإخلاصه وإتقانه فى العلن، وقيل: تَحَرَّوُا الصدق وإن رأيتم أن فيه الهلكة، فإِنَّ فيه النَّجاة، واجتنبوا الكذب وإن رأيتم أن فيه النَّجاة، فإنَّ فِيه الهَلَكَة.

فينبغي أن يتحرى المسلم الصدق في كل أمور حياته، فيكون صادقًا في أقواله، فلا يقول إلا حقًّا، يقول سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}(الأحزاب :٧٠) ، والصدق يجلب

البركة وراحة البال في الدنيا، والنجاة في الآخرة، يقول رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا)(متفق عليه)، ويقول تعالى: {قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ}(المائدة: ١١٩).

وكما يكون الصدق في الأقوال يكون أيضًا في الأفعال ، وذلك بامتثال الأمر واجتناب النهي، وتحري الحلال والبعد عن الحرام، والوفاء بالعهود، وتأدية الأمانات، حيث يقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}(المائدة:١)، ويقول جل شأنه: {إِنّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}(النساء:٥٨) ، وقد حذرنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) من نقض العهد، وخيانة الأمانات، وجعلها من صفات المنافقين، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) (متفق عليه).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لى ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .

إخوة الإسلام:

إن من أجلِّ ميادين الصدق : صدق الهمم في بناء الأوطان ، وتحمل المسئولية المجتمعية ، والمنافسة في أعمال البر والخير ؛ من صيانة

المساجد، وبناء المدارس، وتجهيز المستشفيات، وعلاج المرضى، فكل ذلك من الصدقات الجارية، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ، وهُو فِي قَبْرِهِ : مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا ، أَوْ كَرَى نَهْرًا ، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلا ، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا ، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ) (مسند البزار).

فديننا دين الهمة العالية والمسابقة في الخيرات، حيث يقول تعالى: {فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ}(البقرة :١٤٨)، وقد بين النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) قدر علو الهمة في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ ، وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا)(السنن الكبرى للبيهقي)، وقال سيدنا عُمَر بن الخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): " لَا تُصَغِّرُنَّ هِمَّتَكُمْ ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَقْعَدَ عَنْ الْمَكْرُمَاتِ مِنْ صِغَرِ الْهِمَمِ"(أدب الدنيا والدين) ، وقد قيل: من علامة كمال العقل علوُّ الهمة ، ولله در القائل:

وَلم أرَ في عُيُوبِ النّاسِ شَيْئًا ** كَنَقصِ القادِرِينَ على التّمَامِ

ويقول أحد الحكماء: لا تسأل الله أن يخفف حملك ، ولكن اسأله أن يعينك ويقوي ظهرك ، وقد سئل أحدهم: ما حال فلان؟ فقيل له: لو قيل له: إن القيامة غدًا ما وجد مزيد عمل يعمله (تهذيب الأسماء واللغات).

* * *

الحياء فطرة إنسانية سوية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}(العلق : ١٤)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ القائل: (الحَيَاءُ مِنَ الإيمَانِ، والإيمَانُ فِي الجَنَّةِ) (سنن الترمذي)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن الحياء من أعظم الأخلاق، وأجلها قدرًا، وأكثرها نفعًا، والحياء خلق، الحياء سلوك، الحياء خير كله، ولا يأتي إلا بالخير، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ)، وهو شعبة من شعب الإيمان، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) (سنن الترمذي)، ولولا الحياء لم يقر الضيف، ولم يوف بالوعد، ولم تؤد أمانة، ولم تقض لأحد حاجة، ولم يرع لمخلوق حقًّا، ولم يصل له رحمًا، ولا برَّ له والدًا.

ولقد بين نبينا (صلى الله عليه وسلم) أن الحياء من كمال الإيمان ، فمن قلَّ حياؤه قلَّ إيمانه، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (الحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ، وَلا إِيمَانَ لِمَنْ لا حَيَاءَ لَهُ) (صحيح البخاري) ، وتخلُّق الإنسان بالحياء دليل على حسن أدبه ، وطيب سلوكه، وصلاح ظاهره، ونقاء سريرته ، وقد قيل في قوله تعالى : {وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ} (الأعراف : ٢٦): "لباس التّقوى الحياء"، وقال سيدنا عمر بن الخطابِ

(رضي الله عنه) : "مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ" (مجمع الزوائد)، كما أن الحياء معيار الأخلاق الحسنة، وهو خلق الإسلام، يقول (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : (إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلاَمِ الْحَيَاءُ) (سنن ابن ماجه).

ولا أدعى لرفعة شأن الحياء، وبيان قدره من أنه صفة نبينا (صلى الله عليه وسلم)؛ فقد كَانَ (صلى الله عليه وسلم) أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، حتى صار في حيائه مضرب الأمثال، يقول (عز وجل):{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ}(الأحزاب : ٥٣).

والحياء درجات، أعلاها: الحياء من الله تعالى، وهو يتحقق بمراقبة العبد ربه (عز وجل)، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ)، قَالَوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) (سنن النسائي)، فإذا علم الإنسان أن الله يراه ومطلع عليه، أورثه ذلك حياءً منه تعالى ، فيقبل على الفضائل ، ويترك الرذائل ، يقول يحيى بن معاذ (رحمه الله): " من استحيا من اللّه مطيعًا ، استحيا اللّه (عز وجل) منه وهو مذنب"، وقد قال رجل لرسول الله (صلى الله عليه

وسلم): أَوْصِنِي ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، كَمَا تَسْتَحِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ) (المعجم الكبير للطبراني) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

إخوة الإسلام :

ومن صور الحياء: الحياء من الخلق، وهو الذي يمنع صاحبه من أن تقع أعين الناس على ما يعيبونه عليه، ومن أن يقترف ما يشينه؛ فيصغر في أعينهم، أو ينتزع ما في أيديهم بسيف الحياء، وقد قالوا: ما أُخذ بسيف الحياء فهو حرام، ولزوم الحياء من الخلق يعود صاحبه على فعل محمود الخصال، والابتعاد عن سيئ الصفات، ويورث استحياء العبد من الله تعالى، يقول زيد بن ثابت (رضي الله عنه): "مَن لا يستحيي من النّاس، لا يستحيي من اللّه" (مصنف ابن أبي شيبة).

ومن صور الحياء: الحياء من النفس، وهو عدم رضاء النفوس الشريفة بالنقص، وهو دليل على احترام الإنسان لنفسه، يقول أحد العلماء: "من عمل في السر عملًا يستحي منه في العلانية، فليس لنفسه عنده قدر".

إن الحياء من الله تعالى ومن الخلق ومن النفس من المشتركات الإنسانية التي أجمعت عليها جميع الشرائع السماوية، ولَم تُنسخ في أي ملة من الملل، فهو فطرة إنسانية سوية، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا

شِئْتَ) (مجمع الزوائد)، فما أحوجنا إلى التخلق بهذا الخلق الذي لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه.

* * *

مفهوم العرض والشرف

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}(النور:٣٠)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، القائل: (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ) (صحيح مسلم)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يوم الدِّين.

وبعــد :

فإن من عظمة الشريعة الإسلامية أنها حفظت للإنسان كرامته وإنسانيته، وشرفه ومروءته ، فهي شريعة الطُّهر، والعفة، وقد أوجب الإسلام صيانة الأعراض والمحافظةَ عليها، وحرَّم الاعتداء عليها، والنيل منها بأي وجه من الوجوه؛ حيث يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ}(النحل:٩٠)، كما جعل الإسلامُ الحفاظَ على العرض والشرف أحد الكليات الست التي أحاطها الشرع الشريف بعناية بالغة وعمل على صيانتها ، وقد بشّر نبينا (صلى الله عليه وسلم) من يحمي عرضه برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قُتِل دُونَ مالِهِ فهُو شَهيدٌ، ومنْ قُتلَ دُونَ دمِهِ فهُو شهيدٌ، وَمَنْ قُتِل دُونَ دِينِهِ فَهو شهيدٌ، ومنْ قُتِل دُونَ أَهْلِهِ فهُو شهيدٌ) (صحيح مسلم).

كما جاءت التّشريعات الإسلامية حامية للأعراض وحافظة لها من كل ما يدنّسها ويشينها، فقد حرم الله تعالى الزنا، ونهى عن مجرد القرب منه،

فقال تعالى: {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً}(الإسراء:٣٢)، وأمر بغض البصر ، فقال سبحانه: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}(النور:٣٠).

وللحفاظ على الأعراض شرع الإسلام حد القذف ، ونهى عن قذف المحصنات أو رميهن بالبهتان ، يقول تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}(النور :٣٠)، ويقول (عز وجل) : {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}(الأحزاب : ٥٨)، ويقول سبحانه: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ}(النور : ٤)، وعدَّ نبينا (صلى الله عليه وسلم) قذف المحصنات من الكبائر، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قيل: يا رسول الله وما هُنَّ؟ قال: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِناتِ الْغافِلاتِ) (متفق عليه).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

إخوة الإسلام:

لقد شدد الشرع الشريف في الاحتراز لحفظ الأعراض وصيانتها ، فنهانا

عن الغيبة والنميمة والتجسس، يقول (عز وجل) : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}(الحجرات : ١٢) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ ، لا تَغْتَابُوا المُسْلِمِينَ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَهُوَ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ) (شعب الإيمان) .

كما بالغ في النهي عن كل ما ينال من الأعراض أو يسيء إليها ، فحرَّم الغمز واللمز والسباب والفسوق والسخرية، يقول سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (الحجرات : ١١) .

* * *

أدب الحوار والتعبير عن الرأي

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}(الأسراء :٥٣)، وأَشهدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين.

وبعـــد:

فقد خلق الله (عز وجل) الناس مختلفين في ألوانهم، وألسنتهم، وطباعهم ، ومعارفهم ، وذلك من آيات الله تعالى القائل: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}(الروم : ٢٢)، وهذا التنوع والاختلاف سنة من سنن الله تعالى في خلقه، حيث يقول سبحانه: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}(هود : ١١٨).

ولقد دعانا ديننا الحنيف إلى قبول هذا التنوع ، وجعله وسيلة للتعارف والتقارب ، يقول تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}(الحجرات : ١٣)، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال الحوار الهادف الذي يقرِّبُ وجهات النظر، ويخاطب العقول بالحكمة والموعظة الحسنة ، يقول سبحانه : {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}(النحل : ١٢٥)، فالأمم التي تؤمن بحق الاختلاف ، وقبول الآخـر ، هي أكثر الأمم أمنًا ، واستقرارًا، وتقدمًا ، والأمم التي وقعت في فخ الاحتراب ، والاقتتال الطائفي ، أو المذهبي ، دخلت في دوائر فوضى ودمار عصفت بكيانها ، ومزقت أوصالها .

والمتتبع لسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) يجد أنه أسس للحوار الذي يحترم كل الناس حتى المخالفين في العقيدة، فحين قال عتبة بن أبي ربيعة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): يا ابن أخي، إن كنت تريد من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد شرفًا سوَّدناك علينا، وإن كنت تريد ملكًا ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئيًا تراه، لا تستطيع ردَّه عن نفسك طلبنا لك الطبَّ... كل ذلك ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينصت له، ولم يقاطعه حتى انتهى، ثم قال له بأدب وتكريم: (أَو قَدْ فَرَغْتَ يا أَبَا الوَلِيدِ؟)، قال: نعم، قال: (فَاسْمَعْ مِنِّي)، فقرأ النبي (صلى الله عليه وسلم) من بداية سورة (فُصِّلت) حتى بلغ قوله تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}، فاستمع له عتبة، ثم رجع إلى قومه قائلا: إني سمعتُ قولا، والله ما سمعت مثله قَطُّ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكونَنّ لقوله الذي سمعت منه نبأٌ عظيمٌ...(الاعتقاد للبيهقي)

إن أدب الحوار والرقي في مخاطبة الناس أمر قد أسسه القرآن الكريم، وأمر الله تعالى به نبيه (صلى الله عليه وسلم) حتى مع أشد مخالفيه، ومن أروع صور الإنصاف قوله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} (سبأ: ٢٤)، فلم يقل: نحن على هدى، وأنتم في ضلال مبين، مع وضوح ذلك ؛ وإنما ترك الاستنتاج لأصحاب العقول السليمة المنصفة ، ومن

ذلك قول سيدنا حسان بن ثابت (رضي الله عنه) لأبي سفيان بن الحارث حين هجا النبي (صلى الله عليه وسلم):

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ * * وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الـجَـزَاءُ
أَتَهْجُـوهُ وَلَسْتَ لَـهُ بِكُفْءٍ * * فَشَرُّكُـمَا لِـخَيْـرِكُمَا الفِدَاءُ
فَإِنَّ أَبِـي وَوالِدَهُ وَعِرضي * * لِعِرضِ مُحَمَّدٍ مِنكُم وِقاءُ

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لقد ضمن الإسلام لجميع الناس حرية الرأي الهادف ، الذي يجمع ولا يفرِّق ، يبني ولا يهدم ، ولم يضمن لهم حرية الرأي فحسب؛ بل ضمن لهم ما هو أبعد من ذلك، فقد ضمن لهم حرية المعتقد، ولا أدلَّ على ذلك من أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يجبر أحدًا على الدخول في الإسلام، يقول تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}(البقرة : ٢٥٦).

على أننا نؤكد أن حق الإنسان في التعبير عن رأيه مكفول ، دون المساس بثوابت الأديان ، وحريات الآخرين، ومقدساتهم ، بشرط أن يكون هذا الرأي منضبطًا بضوابط القيم ، والأخلاق ، والإنسانية، ويراعي شعور الآخرين، وليس فحشًا ولا سبابًا ، وقد قالوا: أنت حُرٌّ ما لم تَضُرّ.

وقد أمرنا الدين الإسلامي الحنيف أن نخاطب الناس جميعًا بالقول الطيب الذي يؤلف بين النفوس، يقول تعالى : {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}

(البقرة : ٨٣)، ونهانا أن نتعرض لمعتقدات الآخرين بسوء ، فقال تعالى: {وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} (الأنعام : ١٠٨).

* * *

من أدب المحــن (*)

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه المبين {هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (غافر: ٦٨) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، واحشرنا وارحمنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

وبعــد :

فإن شعور الإنسان بأن زمام العالم كله في يد الله ، يقذف بمقادير كبيرة من الطمأنينة في قلبه ، وهو بهذا الشعور يستعد للمحن قبل نزولها؛ فيتلقاها بالأدب الذي يليق بها.

وللمحن آداب إن أحسن العبد التزامها مضى أمر الله عليه فيها وكان مأجورًا، وإن أهملها خاب وخسر وكان مأزورًا ؛ عياذًا بالله تعالى ،كما قال القائل:

وعوضت أجرا من فقيد فلا تكن *** فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

وإذا أردت أن تعرف آداب المحن؛ فاعلم أن لها أدبًا مع الخالق، وأدبًا مع الخلق.

---

* هذه الخطبة من إعداد الشيخ / أحمد دسوقي مكي ، إمام وخطيب بوزارة الأوقاف.

أما أدب التعامل في المحنة مع الخالق عز وجل فيكون، بحسن الرجوع إليه، فالمحنة في حقيقتها فرصة لصدق الرجوع إلى الله تعالى، يقول تعالى:{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}(السجدة : ٢١) فمن صدق الرجوع إلى الله تعالى في المحن؛ فتحت له أبواب المنن.

والأدب مع الخالق في أوقات المحن يكون بالتضرع بين يديه. {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ}(المؤمنون: ٧٥، ٧٦) ، ويكون بصدق الاعتماد عليه،{ومَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}(الطلاق: ٣)، ويكون باليقين بأن الأمور كلها بيديه، وأنه تعالى المتصرف فيها بحكمته، ولطفه وقدرته، {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}(يس: ٨٢ ، ٨٣) .

وبعد التأدب مع الخالق يأتي واجب التأدب مع الخلق في أوقات المحن ، بالتراحم والتكافل والتعاون والإكثار من الصدقات، وترك الاستغلال والاحتكار، ويكون بالتراحم ؛ فعَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي حَبِيبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (خَابَ عَبْدٌ وَخَسِرَ، لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ رَحْمَةً لِلْبَشَرِ) (الكنى والأسماء)، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) (سنن الترمذي).

الأدب مع الخلق يستلزم التكافلِ والتعاونِ ؛ فالله (عز وجل) في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ، وقد مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) الأشعريين؛ لكونهم أنموذجًا في التعاون وقت الشدائد؛ فيقول (عليه الصلاة والسلام) : "إنَّ الأشْعَرِيِّينَ إذا أرْمَلُوا في الغَزْوِ ، أوْ قَلَّ طَعامُ عِيالِهِمْ بالمَدِينَةِ جَمَعُوا ما كانَ عِنْدَهُمْ في ثَوْبٍ واحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بيْنَهُمْ في إناءٍ واحِدٍ بالسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ مِنِّي وأنا منهمْ " (متفق عليه) ، كما يكون بالإكثار من الصدقات ؛ لعل الله أن يجعلها سببًا في رفع البليات ، فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : "حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ"(المعجم الكبير للطبراني)، ويكون بترك الاستغلال والاحتكار، والذين يفعلون ذلك يعرضون أنفسهم لسخط الله(تعالى)، وكم من أزمة في التاريخ لم تكن مسببة عن قلة الموارد ، وإنما كان سببها الجشع، والحرص على جمع الحرام والطمع، قال (صلى الله عليه وسلم) : "الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ ، وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ " (سنن الترمذي).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه.

إخوة الإسلام:

فما من محنة إلا ولها نهاية ، ومن ورائها حكمة وغاية

يا أيها الدنيا اشهدي *** أن الوباء له انتهـــاء

والحادثات صغيرها *** وكبيرها محض ابتـلاء

ووبا كورونا سوف يرحل *** لا محالة للخفاء

إن طال أو قصر الزمان *** غدا سيصبح في هباء

لا تجزعي يا نفس *** إن الله يفعل ما يشاء

اللهم ارفع عن العالمين البلاء والوباء ، والزلازل وجنبنا الفتن والمحن، ما ظهر منها وما بطن، اللهم اصرف عن الوباء بما شئت وكيف شئت؛ فإنك على ما تشاء قدير، يا نعم المولى ويا نعم النصير غفرانك ربنا وإليك المصير، اللهم احفظ مصر وبلاد العالمين من الفتن والمحن ما ظهر منها، وما بطن، اللهم احفظ مصر وأهلها، وأمنها وأمانها، وأرضها وسماءها، وبحرها ونيلها، وشعبها وجيشها، وكل من يمشي على ترابها.

* * *

الإيمان بالله واليوم الآخر وأثره في السلوك

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}(الكهف:١١٠)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين.

وبعـــد:

فإن الإيمان من أجلِّ نعم الله تعالى على عباده؛ فهو ميزان علاقة العبد بربه، حيث يقول تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (الأنفال:٢)، ولما كان الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، اقترن الإيمان به بالإيمان بالله (عز وجل) في أكثر من موضع، حيث يقول سبحانه: {ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} (الطلاق:٢)، ويقول سبحانه: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}(البقرة :١٧٧)، وحين سئل نبينا (صلى الله عليه وسلم) عن الإيمان قال: (...أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) (صحيح مسلم).

وللإيمان باليوم الآخر آثار عظيمة، منها: أنه يحقق لصاحبه الاستقرارَ النفسِيَّ ، ويكسبه الطمأنينة، فيقنع بعطاء الله تعالى ، ولا يغتر بما أوتى، ولا يحزن لما أصابه ، ويَثْبُت في وقت الأزمات ، يقول تعالى : {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ

بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}(البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٧)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) (صحيح مسلم).

كما أن الإيمان باليوم الآخر يسهم في استقامة سلوك الإنسان، فيجعله صادقًا في أقواله ، وأفعاله ، وأحواله ، بعيدًا عن كل صور الانحراف، والتشدد ، والتعصب، محبًّا للخير، ساعيًا لتحقيق الخير والصلاح لمجتمعه، ووطنه، يقول تعالى: {ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}(البقرة:٢٣٢)، ويقول تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}(الإنسان : ٨ ، ٩)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إلى جارِهِ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ واليوم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَنْ كانَ يُؤمنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَسْكُتْ) (صحيح مسلم).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الإيمان باليوم الآخر يجعل صاحبه مداومًا على الأعمال الصالحة، راغبًا فيما عند الله تعالى، حيث يقول سبحانه : {إِنّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنّ لَهُمُ الْجَنّةَ}(التوبة :١١١)، ولما نزل قول الله تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}(آل عمران:٩٢) جاء أبو طلحة (رضي الله عنه) إلى نبينا (صلى الله عليه وسلم)، فقال: يا رسول الله، يقول الله (تبارك وتعالى) في كتابه: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، وإن أحب أموالي إليَّ بَيْرُحَاء- وكانت حديقة كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدخلها، ويستظل بها، ويشرب من مائها- فإنَّها صدقةٌ للهِ، أرجو بِرَّها، وذُخْرَها عندَ اللهِ، فضَعْها حيثُ شِئْتَ، فقال رسولُ اللهِ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) : (بَخٍ، ذاك مالٌ رابحٌ، بَخٍ، ذاك مالٌ رابحٌ، وقد سمِعْتُ ما قُلْتَ فيها، وإنِّي أرى أنْ تجعَلَها في الأقربينَ) (صحيح البخاري).

وقد بين لنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) أن الجزاء من جنس العمل، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...) (صحيح مسلم).

ومما لا شك فيه أن الإيمان باليوم الآخر يجعل صاحبه مراقبًا لربه سبحانه في كل أحواله ، حين يدرك أنه ملاقيه ، وسيقف بين يديه للحساب عما قدم، وأنه سيجازى عن أفعاله، وقد حذرنا الله تعالى من

نسيان يوم القيامة ، أو الغفلة عنه ، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ} (الحشر : ١٨، ١٩) .

* * *

فريضة الزكاة وأثرها في تحقيق التوازن المجتمعي

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (التوبة : ٦٠) ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فقد شرعت الزكاة في الإسلام لحكم عالية، وأغراض سامية، تعود على الأفراد والمجتمعات بالفضل العظيم، والخير العميم، وإن فريضة الزكاة إذا ما أديت أداء حقيقيًّا، ووظفت توظيفًا صحيحًا، فإنها تسهم في تحقيق التوازن المجتمعي، وسد حوائج المحتاجين، وتفريج كربهم؛ لذا فقد أمر الإسلام بالزكاة، وجعلها ركنًا من أركانه؛ فهي الركن الثالث بعد الشهادتين والصلاة ، حيث يقول تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}(المزمل : ٢٠)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) (متفق عليه ، واللفظ للبخاري).

والزكاة طهارة للنفس ، ونماء للمال، وتحصين له ، حيث يقول سبحانه: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} (التوبة : ١٠٣)، ويقول (عز وجل) :{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}

(سبأ : ٣٩)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِه فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ) (الطبراني في الأوسط)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ) (صحيح مسلم)، فيحذر الإسلام من الشح والبخل، وعدم إخراج حق الله تعالى في الحال ، يقول سبحانه: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}(التوبة :٣٤).

كما أن الزكاة مواساة للفقراء، ومعونة لذوي الحاجات، تكفهم عن البغضاء، وتمنعهم من التقاطع، وتبعثهم على التواصل والتراحم، ومن أجل ذلك جعل الشرع الحنيف للزكاة مواقيتها المحددة التي لا ينبغي أن تتأخر عنها، حيث يقول تعالى: {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}(الأنعام : ١٤١).

بل إنه يجوز تعجيل الزكاة، وتقديم موعد إخراجها لصالح الفقراء، لا سيما في أوقات الشدائد ، والجوائح، والأزمات، يقول أنس بن مالك (رضي الله عنه): باكروا بالصدقة؛ فإن البلاء لا يتخطى الصدقة، وقد سأل العباسُ (رضي الله عنه) رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم) في تعجيل صدقته قبل أن تحلَّ، فرخَّص له في ذلك، (سنن أبي داود)، وسُئل الحسن البصري عن رجل أخرج ثلاث سنين (يعني: الزكاة) يُجزيه؟ قال: نعم، يُجزيه، وهذا التعجيل من أجلِّ وأفضل صور المسارعة في فعل الخيرات، حيث يقول تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}(آل عمران:١٣٣).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

وإذا كانت الزكاة تصرف للفقراء والمساكين لسد حاجتهم، فقد تكون الحاجة إلى العلاج أشد من الحاجة إلى الطعام والشراب، ولا شك أن علاج مرضى (كورونا)، وتوفير الدواء والأجهزة الطبية لهم، ومساعدة المضارين من الظروف الاقتصادية التي فرضتها هذه الجائحة من أولى أولويات الزكاة في هذه الأيام ، وإن ذلك ليعد من باب تفريج الكرب التي حثنا ديننا الحنيف على تفريجها ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَن فرَّج عن مُسلِمٍ كُربةً في الدُّنيا فرَّج اللهُ عنه كُربةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ ، ومَن ستَر عَورةَ مُسلِمٍ ستَر اللهُ عَورتَه يومَ القيامةِ، ومَن يسَّر على مُسلِمٍ يسَّر اللهُ عليه يومَ القيامةِ ، واللهُ في حاجةِ العبدِ ما كان العبدُ في حاجةِ أخيه) (الطبراني في الأوسط).

* * *

الحَلالُ بَيِّنٌ والحَرامُ بَيِّنٌ

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (الأعراف: ٣٢) ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن من عظمة الشريعة الإسلامية أنها جاءت بالخير والنفع والفضل والسّعة ، وأرشدت الناس إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة ؛ فأحلت لهم كل طيب، وحرمت عليهم كل خبيث، ونهت عن كل ضرر، وشرعت كل ما يقيم الحياة ، ويحفظ على الناس أمنهم واستقرارهم ، حيث يقول تعالى: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ}(الأعراف :١٥٧) ، ويقول سبحانه: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(النحل : ٩٧)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) (السنن الكبرى للبيهقي).

والمتدبر في أحكام الشريعة الإسلامية يجد أن مساحة الحلال فيها واسعة ، ومساحة الحرام ضيقة محدودة ، وأن كليهما واضح بَيِّنٌ ، حيث يقول سبحانه: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا

تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (الأنعام : ١٥١)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إن الْحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُما أمور مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِنَ الناسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ وَقَعَ في الْحَرَامِ ، كالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِك أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلا وَإِنَّ حِمَى الله مَحَارِمُه ، أَلا وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَح الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلا وَهِيَ الْقَلْب) (صحيح مسلم).

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِيْنَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِيْنَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَر، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟!) (صحيح مسلم)، وحذر ديننا الحنيف من مغبة الحرام وأكل الحرام ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (كُلّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنَ الحَرَامِ فَالنّارُ أَوْلَى بِهِ) (جمع الجوامع للسيوطي).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

لعل أهم فارق بين العلماء والجهلاء هو مدى فهم هؤلاء وأولئك لقضايا الحِل والحرمة ، والضيق والسعة ؛ فالعالم يدرك أن الأصل في الأشياء الحل والإباحة ، وأن التحريم والمنع هو استثناء من الأصل، حيث يقول سبحانه: {قُلْ لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (الأنعام : ١٤٥)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إن اللَّهَ تعالى فَرضَ فرائضَ فلا تُضيِّعوها ، وحدَّ حدودًا فلا تعتَدوها ، وحرَّمَ أشياءَ فلا تنتَهِكوها ، وسَكَتَ عن أشياءَ – رحمةً بِكُم، غيرَ نِسيانٍ – فَلَا تَسْأَلُوا عَنْهَا) (المعجم الكبير للطبراني)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَحَلَّ اللهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلالٌ ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرامٌ ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ، فَاقْبَلُوا مِنَ اللهِ عَافِيَتَهُ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) (المعجم الكبيرللطبراني)، ويقول سفيان الثوري (رحمه الله) : إنما العلم عندنا الرخصة في فقه ، فأما التشدد فَكُلُّ أَحَدٍ يُحْسِنَهُ.

فالجهلاء يجعلون الأصل في كل شيء التحريم والمنع، ويطلقون مصطلحات التحريم والتفسيق والتبديع والتكفير دون وعي، غير مدركين ما يترتب على ذلك من آثار، وغير مفرقين بين التحريم والكراهية، ولا حتى ما هو خلاف الأولى، فصعَّبوا على الناس حياتهم، ونفَّروهم من دين الله (عز وجل)، وهو ما حذرنا منه ربنا (عز وجل)، ونبينا (صلى الله عليه وسلم)، حيث يقول سبحانه:{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ

هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ}(النحل : ١١٦) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّروا ، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا) (متفق عليه ، واللفظ للبخاري).

* * *

مفهوم الوفاء للوطن (*)

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : " ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ " (يوسف: ٩٩)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الوفاء بالجميل مع الاعتراف بالفضل لأهله خلق كريم لا يتصف به إلا النبلاء، وقيمة إنسانية لا يقوم بحقها إلا العظماء، ولله در القائل:

إن الوفاء على الكريم فضيلة *** واللؤم مقرون بذي الإخلاف

وترى الكريم لمن يعاشر منصفا *** وترى اللئيم مجانب الإنصاف

ومما لا يختلف عليه العقلاء أن وفاء الإنسان لوطنه ودفاعه عنه من أرقى وأنقى صور الوفاء؛ لأن في ذلك دليلًا على نبله، وطيب معدنه، وأصله بل هو دليل على حسن فهمه لصحيح دينه، وإذا أردت أن تعرف أصالة الرجل فانظر إلى حبه لوطنه ، ووفائه له ، واستعداده للتضحية في سبيله.

يقول الأصمعي (رحمه الله) : "إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل فانظر إلى حنينه إلى أوطانه "، وعندما عدد الذهبي- رحمه الله - الأمور التي

---

* هذه الخطبة من إعداد الدكتور/ أيمن علي عبده أبو عمر (من علماء وزارة الأوقاف).

كان يحبها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " كان يحب عائشة (رضي الله عنها) ، وكان يحب أباها (رضى الله عنه) ، وكان يحب وطنه".

نعم كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحب وطنه ، وضرب لنا أروع الأمثلة على حب الوطن والوفاء له فتراه (صلى الله عليه وسلم) في أشد المواقف وأصعبها ، في ليلة الهجرة يعلن عن حبه لمكة فيقول وهو ينظر إليها : " والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت" (سنن الترمذي) .

ويتضرع (صلى الله عليه وسلم) إلى ربه في دعائه أن يحبب إليه وإلى أصحابه المدينة، ويربي النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه على القيم العظيمة على حب الوطن والوفاء له والتضحية في سبيله .

وخَرَجَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) إِلَى بَدْرٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالرَّوْحَاءِ خَطَبَ النَّاسَ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَوْنَ ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه): يَا رَسُولَ اللهِ ، بَلَغَنَا أَنَّهُمْ بِكَذَا وَكَذَا ، قَالَ : ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ ، فَقَالَ: كَيْفَ تَرَوْنَ ؟ فَقَالَ سيدنا عُمَرُ مِثْلَ قَوْلِ سيدنا أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ خَطَبَ، فَقَالَ : مَا تَرَوْنَ ؟ فَقَالَ سيدنا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : إِيَّانَا تُرِيدُ ، فَوَالَّذِي أَكْرَمَكَ وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مَا سَلَكْتُهَا قَطُّ ، وَلاَ لِي بِهَا عِلْمٌ ، وَلَئِنْ سِرْتَ حَتَّى تَأْتِيَ بَرْكَ الْغِمَادِ مِنْ ذِي يَمَنٍ لَنَسِيرَنَّ مَعَكَ ، وَلاَ نَكُونُ كَالَّذِينَ قَالُوا لِمُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّك فَقَاتِلاَ ، إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا مَعَكُمَا مُتَّبِعُونَ ، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ خَرَجْتَ لأَمْرٍ ، وَأَحْدَثَ اللَّهُ إِلَيْك غَيْرَهُ ، فَانْظُرَ الَّذِي أَحْدَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَامْضِ لَهُ ، فَصِلْ حِبَالَ مَنْ شِئْتَ ، وَاقْطَعْ حِبَالَ مَنْ شِئْتَ ، وَسَالِمْ

مَنْ شِئْتَ ، وَعَادِ مَنْ شِئْتَ ، وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ ، فسر النبي (صلى الله عليه وسلم) لما سمع، (مصنف ابن أبي شيبة).

وفي يوم أحد يستشهد سبعون من أصحابه الكرام، ويجرح وجهه الشريف وتسيل منه الدماء الطاهرة ، وهم يقفون على أعتاب المدينة وعلى حدودها يدافعون عنها لماذا؟ لأنه بدون الوطن لا يقام الدين، بدون الوطن لا تصان الأعراض، بدون الوطن لا تحفظ الأرواح.

إن الدفاع عن الدين دفاع عن الوطن، إذ لابد للدين من وطن يحمله ويحميه.

ولقد حبانا الله بوطن من أنبل الأوطان وأشرفها، فمصر هي البلد الذي أثنى الله (تعالى) عليها في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وهي الأرض المباركة ، وهي المقام الكريم ، وهي هبة النيل التي لم يشق بها جليس أو نزيل، سكنها الأنبياء والمرسلون والصالحون والعارفون (رضي الله عنهم أجمعين).

ووالله لا أدري هل هم الذين سكنوا مصر أم هي التي سكنت قلوبهم، فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) الصحابي الجليل يقول : "من أراد أن ينظر إلى الفردوس فلينظر إلى أرض مصر حين يخضرزرعها ، ويزهر ربيعها ، وتكسى بالنوار أشجارها ، وتغني أطيارها " (فضائل مصر المحروسة) ، وقال كعب الأحبار (رضى الله عنه): "والله إني لأحب مصر وأحب أهلها ؛ لأن أهلها أهل عافية ، ومن أرادها بسوء أكبه الله على وجهه".

ويكفي أهل مصر شرفا أنهم أصهار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأخوال ولده إبراهيم ، وأنهم وصية النبي (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه ، حيث قال لهم : " فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا" (صحيح مسلم).

وقال (صلى الله عليه وسلم): " إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندًا كثيفًا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض"، فقال سيدنا أبو بكر(رضى الله عنه) : ولم يا رسول الله؟، قال: لأنهم وأزواجهم وأبنائهم في رباط إلى يوم القيامة(المؤتلف والمختلف للدارقطني ، وشرح مشكل الآثار)

من شاهد الأرض وأقطارها *** والناس أنواعـا وأجنـاسـا
ولا رأى مصـر ولا أهلهـا *** فما رأى الدنيـا ولا الناس

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

إخوة الإسلام:

إن الوفاء الحقيقي للوطن ليس شعارًا يرفع أو عبارة تردد ، إنما الوفاء الحقيقي للوطن أن يقوم كل مواطن بمسئوليته في مكانه الذي أقامه الله فيه، ليعلم علم اليقين أنه مسئول أمام الله (عز وجل) عن وفائه لوطنه ، وعن واجبه نحوه.

وما أحوجنا أن نعرف لوطننا قدره ، وأن نوفيه حقه ، وأن يعلم من يقصر في أداء واجبه ، أو يعتدي على حق وطنه، أنه يضر بطريق الإصلاح

الذي تسير فيه الدولة المصرية بخطى ثابتة مشهودة، لا ينكرها إلا جاحد أو حاقد.

وإن الاعتراف بالوفاء للوطن أن نقر بالجميل والفضل لمن يحملون أرواحهم على أكفهم، ويبذلونها فداء للدين وللأرض وللعرض من أبناء القوات المسلحة البواسل ، ورجال الشرطة الأوفياء والأطباء الكرام ، وكل وطني شريف يسعى لرفعة وطنه وتقدمه.

* * *

متطلبات الولاء والانتماء للوطن

الحمد لله رب العالمين، جعل حب الأوطان فطرة إنسانية، (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) (الروم: ٣٠)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، القائل: (مَنْ أَصبح مِنكُمْ آمِنًا في سِرْبِهِ ، مُعَافًى في جَسدِهِ ، عِندهُ قُوتُ يَومِهِ، فَكَأَنّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحذافِيرِها) (سنن الترمذي)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعــد:

فإن حب الوطن والانتماء إليه قيمة إسلامية أصيلة، وفطرة جبلت عليها الطباع السليمة ، وأمر يوجبه الشرع الحنيف ، وتفرضه الوطنية المخلصة ، وقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في حب الوطن والانتماء له في قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِمَكَّةَ : (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ أَخْرَجُونِي مَنك ما خرجت) (سنن الترمذي).

إن الانتماء للوطن يوجب على أبنائه أن يعتزوا به ، وأن يتكاتفوا جميعًا للحفاظ عليه ، وأن يُسهموا بقوة في نهضته بالعلم والعمل والإنتاج، والمرابطة على ثغوره لتأمين حدوده ، وردع كل معتدٍ ، والمشاركة في الأعمال التطوعية التي تخدم المجتمع ، ولله در القائل:

بِــلادٌ مــاتَ فِتيَتُهــا لِتَحيـا   وَزالــوا دونَ قَومِهِــمُ لِيَبـقـوا

إن الولاء للوطن والانتماء له يحتِّم على الإنسان أن يكون صادقًا في أعماله ، لا يكذب وطنه ، ولا يخون أهله ، ولا يغشهم ، ولا يخدعهم ، ولا يتآمر عليهم ، ولا يبيع قضاياهم بأي ثمن ، فالوطنية الحقيقية بناء لا هدم، إعمار لا تخريب، إن الوطنية الحقيقية فن صناعة الحياة وعمارة الكون، لا فن صناعة الموت والفساد والإفساد ، حيث يقول سبحانه: {هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} (هود : ٦١)، ويقول (عز وجل) : (وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا) (الأعراف: ٥٦).

والولاء للوطن والانتماء له مسئولية مشتركة بين الجميع، وكلٌّ مسئول أمام الله تعالى بحسب موقعه ومقدار الأمانة الملقاة على عاتقه، فنحن في سفينة واحدة، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (مَثَلُ القَائِمِ على حُدودِ اللَّه والْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سفينةٍ، فأصاب بعضُهم أعلاهَا ، وبعضُهم أسفلَها، وكانَ الذينَ في أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا في نَصيبِنا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرادُوا هَلكُوا جَمِيعًا، وإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِم نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا) (صحيح البخاري).

كما أن للمؤسسات دورها وعليها مسئوليتها في تحقيق الولاء والانتماء للوطن؛ فللمؤسسات الدينية دورها في بيان أن مصالح الأوطان لا تنفك عن مقاصد الأديان ، وأن العمل على تقوية شوكة الدولة الوطنية وترسيخ دعائمها مطلب شرعي ووطني ، وأن كل مَن يعمل على تقويض بنيان الدولة أو تعطيل مسيرتها ، أو تدمير بناها التحتية، أو ترويع الآمنين بها، إنما هو مجرم في حق دينه ووطنه معًا ، وكذلك المؤسسات التعليمية

والتربوية التي تغرس في أبنائنا الولاء والانتماء للوطن، وتدربهم عمليًّا على حبه ، وتنشئهم على القيم النبيلة ، ومكارم الأخلاق ، وكذلك المؤسسات الإسلامية لها دور هام في تفنيد الإشاعات والأراجيف ، ونشر الحقائق، وبيان حق الوطن على أهله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

إخوة الإسلام:

إن الولاء والانتماء يظهر أثره في احترام علم الدولة وشعارها وقائدها ورموزها وجيشها وشرطتها، وسائر مؤسساتها الوطنية ، كما يتجسد عمليًّا من خلال الأعمال التي من شأنها رقيه واستقراره، فحب الوطن وحسن الانتماء إليه والولاء له والحرص على رفعة شأنه يحمِّل صاحبه أمانة ومسئولية تجعله يتفانى – بل ينصهر – ليرفع راية بلده عاليًا، كل في مجاله وميدانه، العالم بعلمه، والطبيب بطبه، والعامل بجهده وعرقه، والصانع بمهارته وصنعته ، والجندي بفدائه وتضحيته ، وسهره على حماية وطنه، والمسئول بتفانيه في خدمة وطنه ، وإيثاره للمصلحة العامة على الخاصة ، والمبدع بإبداعه ومهارته ، والكاتب والأديب بفكره وقلمه.

* * *

التضحية لأجل الوطن سبيل الشرفاء والعظماء الأوفياء

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}(الحديد: ١٩)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، القائل في حديثه الشريف: (عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله) (سنن الترمذي)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ،

وبعد:

فإن حب الأوطان فطرة إنسانية عظيمة، وقيمة دينية جليلة، ولقد اقترن حب الوطن في القرآن الكريم بحب النفس، حيث يقول تعالى: {ولَوْ أَنّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مّا فَعَلُوهُ إِلّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ} (النساء : ٦٦)، فالنفس السوية شديدة التعلق بوطنها، لذلك جعل الشرع الحنيف الإبعاد عن الوطن عقوبة للمفسدين في الأرض، يقول تعالى : {إِنّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ} (النساء : ٣٣) ، وقد جسَّد نبينا (صلى الله عليه وسلم) معنى الحبِّ، والوفاء للوطن، حين أخرجه قومه من مكة المكرمة، فخاطبها قائلا: (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ، مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ) (سنن الترمذي).

ولا شك أن حب الوطن ليس مجرد كلماتٍ تقال، أو شعاراتٍ ترفع؛ إنما هو سلوكٌ وتضحياتٌ، والتضحية من أجل الوطن والشهادة في سبيله دليل على يقين القلب وثقته بوعد الله (عز وجل)، والرغبة فيما عنده، وعلامة على الطهارة من الأنانية وحب الذات، وقد بشَّر النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حرَّاس الوطن وحماته الذين يضحون بأنفسهم دفاعًا عنه بأن النار لن تمس أجسادهم، فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله) (سنن الترمذي).

وأن أعلى مراتب التضحية هي التضحية بالنفس، حيث يقول تعالى: {مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}(الأحزاب : ٢٣)، ويقول نبينا (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم): (لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ، وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهرَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَمَّا الأَثَرَانِ : فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ) (سنن الترمذي)، وقد قالوا: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل، وأصالته، ونبله، وشهامته؛ فانظر إلى مدى ولائه لوطنه، وحسن انتمائه له، وحنينه إليه، وعمله لأجله، وهذا سبيل الشرفاء، والعظماء الأوفياء، فالوطنية الحقيقية فداء، وعزة، وكرامة، وإباء، وشموخ، واعتزاز بالوطن اعتزازًا لا تفريط فيه؛ ومن ثم فإن الوطن يستحق منا التضحية لأجل عزته، ورفعته، وحفظه.

فالشهيد الحق هو من يقاوم ويواجه المعتدين على وطنه أو ماله أو عرضه، فليس الوطن والعرض أقل خطرًا ومكانة من النفس والدين

والمال، فقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: (فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: (قَاتِلْهُ) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: (فَأَنْتَ شَهِيدٌ) قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: (هُوَ فِي النَّارِ) (صحيح مسلم) .

وللتضحية من أجل الوطن صور متعددة، أعلاها وأشرفها: التضحية بالنفس من أجل حماية الوطن من أي خطر يتهدده، أو يقوض بنيانه، أو يزعزع أركانه، أو يروع مواطنيه، فحماية الأوطان من صميم مقاصد الأديان، وقد عدَّ الشرعُ الحنيفُ التضحيةَ بالنفس من أفضل الأعمال عند الله تعالى، حيث يقول سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ}(التوبة: ١١١)، ويقول(جل شأنه):{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}(النساء : ٦٩)، ويقول نبينا (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم) : (كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلاَّ الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْمى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ) (مسند الإمام أحمد)، ويقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلاَّ الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْمى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ) (مسند الإمام أحمد).

وللشهادة ثمراتها الطيبة، منها: أنها تجعل صاحبها في صحبة الأنبياء والصديقين والصالحين، يقول تعالى:{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}(النساء : ٦٩).

ومنها: أنَّ الشهداء لا ينقطع عملهم الصالح حتى بعد موتهم؛ يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلاَّ الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْمى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ) (مسند الإمام أحمد).

ومنها: أن الشهداء لا يشعرون بألم القتل، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ) (سنن الترمذي)، كما أنهم يأمنون من عذاب القبر وفتنته، فقد قال رجل : يا رسول الله ، ما بال المؤمنين يُفتَنون في قبورهم إِلاَّ الشَّهِيد؟ قال : (كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً) (سنن النسائي).

ولذلك فإن من رزقه الله الشهادة، وبلغ منزلتها ، يتمنى الرجوع إلى الدنيا فيستشهد مراتٍ ومراتٍ، يقول : (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيءٍ غَيْرُ الشَّهِيدِ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ) (صحيح مسلم).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

ومن صور التضحية لأجل الوطن : التضحية بالعمل والجهد ، حيث أثنى الله تعالى على الذين يبذلون جهدهم، ويضحُّون من أجل غيرهم،

وتوعَّد من سخر منهم بالعذاب الأليم، حيث يقول سبحانه :{الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(التوبة: ٧٩) .

ومنها: التضحية بالمال، يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ}(البقرة : ٢٥٤) ، وقد ضرب سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أروع الأمثلة في البذل والعطاء ، حين اشترى بئرَ رُومَةَ من خالص ماله ، وحين جَهزَ جيشَ العُسْرَةِ ، وقد بشَّره النبي (صلى الله عليه وسلم) بالجنة مرتين.

إنها منظومة تضحيات متكاملة، فالجندي بثباته وصبره وفدائه، والشرطي بسهره على أمن وطنه ، والفلاح ، والعامل ، والصانع بإتقان كل منهم لعمله ، والطبيب ، والمعلم ، والمهندس بما يقدم كل منهم في خدمة وطنه ، وهكذا في سائر الأعمال والمهن والصناعات، فالوطنية الحقيقية عطاء ، وبذل ، حيث يقول (عز وجل) : (وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (أَحَبُّ النَّاسِ إلى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ) (الطبراني في الأوسط).

فتحية إعزاز وتقدير إلى رجال الشرطة الشرفاء ، ورجال الجيش البواسل الذين يضحُّون في سبيل الوطن ، ويعملون على مجده ورفعته، وإننا نؤكد أن نصر أكتوبر يشكل تاريخًا عظيمًا لجيل عظيم من الشهداء الذين آثروا ما عند الله (عز وجل) على الدنيا وما فيها، وآثروا أوطانهم على أنفسهم، فسجل التاريخ أسماءهم بحروف من نور في سماء الفداء

والتضحية، فالشهادة عز وشرف ، وقد ضحى من قبلنا لنعيش أعزَّة، ويجب أن نضحي ليعيش أبناؤنا وأحفادنا أعزَّة ، فقد زرَع من قبلنا لنحصد ، ونحن نزرع ليحصد من بعدنا .

* * *

الحفاظ على المال وحتمية مواجهة الفساد.

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} (النساء :٢٩)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ القائل (إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ في مَالِ اللَّهِ بغيرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَومَ القِيَامَةِ) (صحيح البخاري)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين.

وبعــد:

فإن المال نعمة عظيمة من نعم الله (عز وجل)؛ فهو عصب الحياة، وركيزة تحقيق العيش الكريم، والرقي إلى مدارج التقدم، كما أنه من وسائل تحقيق بعض العبادات، كالزكاة والحج، حيث يقول تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}(المعارج: ٢٤ ، ٢٥)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) (متفق عليه ، واللفظ للبخاري)، ولله درُّ القائل:

بالعِلمِ والمالِ يَبني النّاسُ مُلْكَهُمُ * لم يُبنَ مُلْكٌ على جهلٍ وإقلالِ

والمال وسيلة ، لا غاية ، إذا استخدم في الصلاح كان نعمة ، وإذا استخدم في الفساد كان نقمة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (تَعِسَ عَبْدُ

الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شيكَ فَلاَ انْتَقَشَ) (سنن ابن ماجه).

ولأهمية المال كان حفظه من مقاصد الشريعة الإسلامية، فيجب صونه، وحمايته من كل صور الاعتداء عليه، أو تضييعه، يقول تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا}(النساء : ٥)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَال) (صحيح البخاري)

والمال الحرام بكل صوره عواقبه وخيمة، يقول الحق سبحانه : {وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}(البقرة :١٨٨)، ويقول سبحانه: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}(آل عمران: ١٦١)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ) (متفق عليه)، ويقول صلى الله عليه وسلم: (مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ، وَأَوْجَبَ لَهُ النَّارَ) (مسند الإمام أحمد).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

ما أحوجنا إلى الحفاظ على المال ، والحذر من الاعتداء عليه، أو كسبه بغير الطرق القانونية ، فالمال من أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ: فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ: فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ: مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ: فِيمَ أَبْلاَهُ؟) (سنن الترمذي).

وإذا كان هذا في المال بصفة عامة ، فإن حرمة المال العام أشد؛ لكثرة الذمم المتعلقة به ، سواء أكان الاعتداء عليه سرقة ، أم اختلاسًا، أم رشوة، أم إتلافًا، حيث يقول الحق سبحانه: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (المائدة :٣٨)، ويقول تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}(البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ ، وَالْمُرْتَشِيَ، والرَّائِشَ) (شرح مشكل الآثار)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) (صحيح مسلم) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ) (شعب الإيمان).

* * *

رحلة الإسراء
ومكانة الحبيب (صلى الله عليه وسلم) فيها

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(الإسراء : ١)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فقد جاءت رحلة الإسراء والمعراج تكريمًا إلهيًّا لنبينا (صلى الله عليه وسلم) بعد ما أصابه من أذى قومه ما أصابه، فصبر، وصابر، ورابط، وتحمَّل، وتضرَّع إلى ربه سبحانه، حيث يقول تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} (الطور : ٤٨ ، ٤٩) ، وقد كانت هذه الآيات في ختام سورة الطور، لتأتي بعدها سورة النجم بالتشريف والتكريم، والحديث عن هذه المعجزة المباركة، حيث يقول تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} (النجم ١-١١) .

وهذا التكريم والتشريف لنبينا (صلى الله عليه وسلم) قد جاء بأفضل وصف ، وأعلى مقام، مقام الصفاء ، والنقاء ، والتسليم ، والخضوع المطلق لله (عز وجل) ، وهو مقام العبودية ، حيث يقول تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(الإسراء :١)، وهو مقام يحبه نبينا (صلى الله عليه وسلم)، فقد سأله سيدنا جبريل (عليه السلام): يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، قَالَ: أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ؟ أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (بَلْ عَبْدًا رَسُولًا) (مسند الإمام أحمد)، وإذا كانت الرسالات قد خُتمت ببعثة نبينا (صلى الله عليه وسلم)، فإن مقام العبودية يظل بابَ رحمة واسعة لعباد الله المخلصين إلى يوم القيامة.

ولمكانة نبينا (صلى الله عليه وسلم) عند ربه رُفع إلى سدرة المنتهى، ليدرك منزلة لم يبلغها نبيٌّ قبله، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ) (صحيح البخاري).

ومن مظاهر تكريم الله (عز وجل) لنبيه (صلى الله عليه وسلم) استقبال جميع الأنبياء السابقين له في المسجد الأقصى وصلاته بهم إمامًا ، حيث قال له سيدنا جبريل (عليه السلام) : يا رسول الله ، تقدَّم صلِّ بهم ، فأنت لهم الإمام ، كما رحَّب به (صلى الله عليه وسلم) أنبياءُ الله تعالى في السموات العلا ، قائلين : مرحبًا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح ودعوا له ولأمته بالخير ، (صحيح البخاري).

لقد كانت رحلة الإسراء والمعراج رحلة عطاء، وإكرام، ومنح لنبينا (صلى الله عليه وسلم) ولأمته، يقول سيدنا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)... أُعْطِيَ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ، [أي: المعاصي دون الشرك] (صحيح مسلم) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

ومن مظاهر تكريم الله (عز وجل) لنبينا (صلى الله عليه وسلم) تخفيفه الصلاة عن أمته بعد أن فرضها سبحانه عليه في هذه الليلة المباركة ، وقد بيَّن ذلك نبينا (صلى الله عليه وسلم) في قوله حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام: (... وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ... فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ ، فَرَجَعْتُ ...) (صحيح البخاري)، وظل (صلى الله عليه وسلم) يسأل ربه حتى صارت الصلاة خمسًا في العمل ، وخمسمائة في الأجر ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (فلم أزلْ أرجعُ بين ربي وبين موسى حتى قال : يا محمدُ ، إنهنَّ خمسُ صلواتٍ كلَّ يومٍ وليلةٍ ، لكلِّ صلاةٍ عشرٌ ، فذلك خمسون صلاةً) ، ثم يعلمنا (صلى الله عليه وسلم) درس الحياء ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (فنزلت

حتى انتهيتُ إلى موسى ، فأخبرتُه ، فقال : ارجِعْ إلى ربِّك فسَلْه التَّخفيفَ ، فقلتُ : قد رجعتُ إلى ربي حتى استحْيَيْتُ منه) (صحيح البخاري) .

* * *

على عتبات شهر رمضان

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة : ١٨٣)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، القائل: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (متفق عليه)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فها نحن نودع شهر شعبان بنفحاته وخيراته ، ونقف على عتبات شهرٍ كريمٍ مبارك، شهر الرحمة والغفران والعتق من النار، شهر القرآن ، واليسر، والذكر ، والشكر ، حيث يقول الحق سبحانه: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة:١٨٥)، وَيقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ) (صحيح البخاري).

ونحن على عتبات هذا الشهر الكريم يجب علينا أن نستقبله بقلوب مخلصة، تجمع بين الأمل والرجاء في عفو الله تعالى وكرمه ومغفرته ، فلله (عز وجل) في هذا الشهر المبارك مِنَح وتجليات على عباده؛ ويمدُّهم فيه من الأجرِ ، والفضل العظيم ، والعطاء العميم ، حيث يقول

سبحانه في الحديث القدسي: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) (صحيح البخاري)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ للهِ تَعَالَى عِندَ كُلِّ فِطرٍ عُتَقاءَ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ ليلةٍ) (سنن ابن ماجه).

فعلينا أن نستشعر هذا الفضل، وأن نحسن استقبال شهر رمضان المبارك واغتنامه بالتوبة النصوح الصادقة التي تطهر القلوب، وتصلح النفوس، وتمحو الذنوب، حيث يقول تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(التحريم: ٨)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مسيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مسيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) (صحيح مسلم).

وعلينا أن نستقبل شهر رمضان بقلوب عامرة، ونفوس طاهرة، وأن نغتنمه بالتكافل، والتعاون، والتراحم، والمسارعة إلى الجود والعطاء، وقد بشرنا الله تعالى بكريم الثواب وجزيل العطاء، حيث يقول سبحانه: {وَمَا تُقَدِّمُوا لأنفُسِكُم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيرًا وَأعظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(المزمل:٢٠)، ويقول تعالى:{لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}(آل عمران: ٩٢)، وكَانَ نبينا (صلى الله عليه وسلم) أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَد مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ

الرِّيحِ المُرْسَلَةِ (متفق عليه)، ويقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْره، من غَيرِ أَن يُنقَصَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ) (السنن الكبرى للنسائي)، وهذه دعوتنا لأهل الخير في هذا الشهر الكريم: (يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِل) (سنن الترمذي)، حتى لا يكون بيننا في رمضان جائع ولا مسكين ولا محتاج إلا قضينا- متكاتفين- حوائجهم، وأغنيناهم عن ذل السؤال في هذا الشهر الكريم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

وينبغي لنا أن نستقبل شهر رمضان المبارك بالبعد عن المشاحنات وأسبابها ، فقد سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أي الناس أفضل؟ فقال: (كُلُّ مَخْمُومِ القَلْبِ ، صَدُوقِ اللِّسَانِ) قالوا : صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: (هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ ، لا إِثْمَ فِيهِ ، وَلا بَغْيَ ، وَلا غِلَّ، وَلا حَسَد) (سنن ابن ماجه) ، وإن صاحب الشحناء محروم ومحجوب عن رحمة الله (عز وجل)، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (تُفْتَحُ أَبْوابُ الجَنَّةِ يَومَ الاثْنَيْنِ ويَومَ الخَمِيسِ ، فيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا، إلَّا رَجُلًا كانَتْ بيْنَهُ وبيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ ، فيُقالُ : أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا...) (صحيح مسلم).

وما أجمل أن نحسن استعدادنا لشهر رمضان المبارك بالإصلاح بين الناس، فإن أجره عند الله تعالى من أعظم الأجور، حيث يقول سبحانه: {لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (النساء : ١١٤)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (أَلَا أَدُلُّكُم على أَفْضَلَ من درجةِ الصلاةِ والصيامِ والصدقةِ ؟ قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ، قال: إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ، فإنَّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ) (سنن أبي داود).

* * *

رمضان شهر القرآن
دعوة للتأمل في عظمة كتاب الله (عز وجل)

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (المائدة : ١٥ ، ١٦) ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فإن الله (عز وجل) فضَّل شهر رمضان المبارك على سائر الشهور، واختصَّه بفضائل عديدة ، من أعظمها أن أنزل فيه القرآن على قلب نبينا (صلى الله عليه وسلم) ، حيث يقول (عز وجل): {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}(البقرة : ١٨٥) ، وقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يجعل للقرآن مزيد عناية واهتمام في شهر رمضان ، حيث يقول سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما): " كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أجود بالخير من الريح المرسلة " (صحيح البخاري) .

كما أن الصيام وقراءة القرآن يكونان سببًا في نجاة العبد يوم القيامة، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (الصِّيَامُ وَالقُرْآنُ يَشْفَعانِ لِلْعَبْدِ

يَوْمَ القِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيامُ : أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعامَ والشّهواتِ بِالنّهَارِ فشفّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ القُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، قَالَ : فَيُشَفَّعانِ) (مسند الإمام أحمد).

والمتأمل في الشريعة الغراء يجدها تحفل بالدعوة إلى تلاوة القرآن، كما أنها أجزلت على ذلك الثواب العظيم، حيث يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ}(فاطر : ٢٩)، ويقول سبحانه: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}(المزمل : ٤)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (اقْرَؤُوا القُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ) (مسند الإمام أحمد) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ) (متفق عليه، واللفظ لمسلم) ، ويقول خبَّاب بن الأرت (رضي الله عنه): " تقرَّب إلى الله ما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه" .

على أننا نؤكد أن قراءة القرآن ينبغي أن لا تقف عند حدود التلاوة دون فهْم لمعاني القرآن ومقاصده وغاياته، وتأمُّل لجوانب عظمته، حيث يقول تعالى: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا}(النساء : ٨٢)، وجوانب العظمة في القرآن الكريم لا تعد ولا تحصى ، فالقرآن الكريم حبل الله المتين ، والنور المبين الذي لا يناله التحريف ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا تنقضي عجائبه ، يقول سبحانه : {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}(النحل: ٨٩).

وإن من جوانب العظمة في القرآن الكريم قوة تأثيره على كل ما يتصل به، حيث يقول تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الحشر:٢١)، ومنها: أن الله تعالى تحدَّى الإنس والجن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله، فعجزوا عن ذلك كله، حيث يقول تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}(الإسراء : ٨٨)، ويقول سبحانه: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(هود:١٣)، ويقول (عز وجل) : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(يونس : ٣٨).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن المتأمل في كتاب الله (عز وجل) يجده عامرًا بالآيات الدالة على عظمة الخالق سبحانه وبيان مظاهر قدرته ، سواء في خلق الكون أم في خلق الإنسان ، فقد أودع الله (عز وجل) في كتابه العزيز علم كل شيء،

حيث يقول سبحانه: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ}(الأنعام: ٣٨)، ولا زال العلماء في عصرنا الحديث بما توفَّر لديهم من أدوات علمية وبحثية لم تكن متوفرة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يؤكدون حقائق علمية وكونية أثبتها القرآن الكريم من أكثر من ألف وأربعمائة عام، ومن ذلك أن العلم الحديث قد أثبت أنه لا يمكن للبصمة أن تتطابق وتتماثل بين شخصين، حتى في التوائم المتماثلة التي أصلها من بويضة واحدة، وهو ما يلفت القرآن الكريم الانتباه إليه في قوله تعالى: {بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}(القيامة : ٤) ، حيث خص الحق (سبحانه وتعالى) البنان دون غيره بالذكر؛ كونه مميِّزًا لكل إنسان عن بني جنسه من جميع البشر.

فما أحوجنا إلى قراءة القرآن الكريم ، وتدبر معانيه ، والتأمل في جوانب عظمته ، والتخلق بأخلاقه ؛ حتى يتحقق بذلك صلاح القلوب، وصلاح المجتمعات .

* * *

أيامُ العزةِ والنصرِ فِي الشهرِ الفضيل

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}(محمد : ٧)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد:

فقد خصَّ الله سبحانه وتعالى شهر رمضان بفضائل متعددة؛ فكما أنه شهر عبادة وقراءة للقرآن ، وذكر ، وصلة ، وبر ، هو أيضًا شهر العزة والنصر، فأيامه على مرّ التاريخ أيام الغلبة والتمكين ، نذكرها بالعزة والفخار، ونستلهم منها ما ينفعنا في حاضرنا ومستقبلنا ، وكان ذلك شأن الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ}(إبراهيم : ٥)، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (قَامَ مُوسَى يَوْمًا فِي قَوْمِهِ فَذَكَّرَهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ ، وَأَيَّامُ اللهِ نَعْمَاؤُهُ) (السنن الكبرى للنسائي).

ولا شك أن أيام النصر هي أيام عزة وفرح بنصر الله ، حيث يقول سبحانه: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}(الروم : ٤ ، ٥) ، ومن هذه الأيام يوم بدر في شهر رمضان من العام الثاني للهجرة ، ففيه أعز الله تعالى عباده المؤمنين ونصرهم رغم قلة عددهم وعدتهم مقارنة بأعدائهم الذين خرجوا كبرًا وغرورًا ومحاولة

للقضاء على الإسلام والمسلمين ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}(الأنفال : ٤٧)، ويقول تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}(آل عمران: ١٢٣ ـ ١٢٦) .

وفي شهر رمضان في السنة الثامنة للهجرة كان فتح مكة، وهو يوم مشهود أعز الله تعالى فيه نبيه (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين، ونصرهم على أعدائهم، وضرب فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في الصفح والعفو عمن آذوه وأخرجوه وتآمروا على قتله حين قال لهم: (مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟)، قَالُوا: خَيْرًا ، أَخٌ كَرِيمٌ ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ) (السنن الكبري للبيهقي)، ولما سمع (صلى الله عليه وسلم) أحد أصحابه يقول: اليَوْمَ يَوْمُ المَلْحَمَةِ، اليَوْمَ تُسْتَحَلُّ الكَعْبَةُ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَرحَمَة، الْيَوْمَ أعَزَّ اللهُ فِيهِ قُرَيْشًا) (فتح الباري)، وأعطى (صلى الله عليه وسلم) الأمان لمن دخل الكعبة، ولمن أغلق عليه بابه.

وفي الخامس والعشرين من رمضان عام (٦٥٨هـ) كلل الله تعالى جهود الجيش المصري بقيادة سيف الدين قطز بالنصر على التتار في معركة (عين جالوت)، بعدما اجتاحت جيوشهم الغاشمة معظم دول العالم

الإسلامي، وعاثوا في الأرض فسادًا، وأهلكوا الحرث والنسل، فكانت بحق من أهم المعارك الفاصلة في التاريخ ، وكانت المرة الأولى التي يهزم فيها التتار ، واندحروا إلى غير رجعة.

ومن أهم أيام النصر والعزة والشرف في تاريخنا الحديث يوم العاشر من رمضان (١٣٩٣هـ)، السادس من أكتوبر (١٩٧٣م)؛ حيث وفق الله (عز وجل) قواتنا المسلحة المصرية لتحقيق النصر والعزة والكرامة، وتحطيم أسطورة الجيش الذي كان يزعم أنه لا يقهر، ووجهت إليه ضربة أفقدته صوابه، وكبحت كبرياءه، وأجبرت العالم على احترام مصر وجيشها، وكان شعار الجندي المقاتل: (الله أكبر)، مع الصيام والقيام والقرآن والدعاء الصادق، محققين قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(الأنفال: ٤٥).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

وإن من أهم الانتصارات التي يحققها العبد في رمضان أن ينتصر على نفسه ، وأن يكبح جماحها عن كل حرام ، فإذا كان الإنسان يبتعد عن الحلال في الصيام عبادة لله رب العالمين ، فحري به أن يبتعد عن كل حرام يضره ولا ينفعه ، وليقدم لنفسه ما يسره يوم القيامة ، حيث يقول

تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}(الحشر: ١٨)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ) (سنن الترمذي)، وكان من دعائه (صلى الله عليه وسلم) : (اللهمَّ إنِّي أَسْتَهْدِيكَ لِأَرْشَدِ أَمْرِي ، وأعوذُ بِكَ من شرِّ نَفسي) (مسند أحمد)، وكان سيدنا عمر (رضي الله عنه) يقول: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَجَهَّزُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ ، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَئِذٍ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا) (سنن الترمذي).

وفي ذكرى العاشر من رمضان المباركة نقدم تحية إجلال وتقدير لرجال القوات المسلحة الذين يقفون بصدورهم وسواعدهم قبل أسلحتهم ومعداتهم لحماية مصرنا الغالية وشعبها العظيم ، فهم على مرِّ التاريخ درع الأمة وسيفها ، ومصدر أمانها واطمئنانها ، ومن ورائهم شعب عظيم يؤازرهم ، ويتحد معهم حفاظًا على مصر وحضارتها، وبناء لأمجادها ومفاخرها.

* * *

يوم بدر .. دروس وعبر

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(آل عمران :١٢٣) ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليَهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد:

فإن يوم بدر من أيام الله سبحانه وتعالى المباركة، حيث جاء فيه التثبيت والتأييد من الله (عز وجل) لعباده المؤمنين الذين أوذوا، وأُخرِجوا من ديارهم بغير حق، فأذن الله تعالى لهم أن يدفعوا الظلم عن دينهم ووطنهم وأنفسهم، وبشرهم بالنصر العظيم، حيث يقول تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}، فكان يوم بدر يومًا فارقًا بين الحق والباطل، وسماه الله تعالى يوم الفرقان، ونال من شهده من البشر والملائكة التشريف الأعظم والتكريم الأسمى، حيث يقول نبينا (صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) : (جَاءَ جِبريلُ، فقال: ما تَعدُّونَ مَنْ شهِدَ بَدْرًا فِيكمْ؟ قُلتُ: خِيارُنا، قال: وَكَذلِكَ مَنْ شهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلاَئِكَةِ هُمْ عِندَنا خِيارُ المَلائِكةِ) (مصنف ابن أبي شيبة) .

والمتأمل في هذا اليوم المشهود يجده مليئًا بالدروس والعبر، منها التفاف الصحابة (رضوان الله عليهم) خلف قائدهم سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ومن ذلك قول سيدنا المقداد بن عمرو (رضي الله عنه) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ، فَنَحْنُ مَعَكَ ، وَاللَّهِ لاَ نَقُولُ

لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ...، (مصنف ابن أبي شيبة)، وقول سيدنا سعد بن معاذ (رضي الله عنه) : (والَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ...، وأخذ (صلى الله عليه وسلم) برأي سيدنا الحُباب بن المُنذِر أن ينزل بالجيش بجوار أقرب ماء ، وأن يبنوا عليه حوضًا ليشربوا منه.

كما علمنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) حسن التوكل على الله تعالى المبني على الأخذ بأقصى الأسباب المتاحة، مع البعد عن كل موانع النصر كالتفرق ، والاختلاف ، والتنازع ، فرتَّب (صلى الله عليه وسلم) الصفوف ، وأعد الخطة المحكمة ، وقد كان العرب يقاتلون كرًّا وفرًّا، فاستحدث نبينا (صلى الله عليه وسلم) الوسائل القتالية التي لم يعهدها العرب من تنظيم الصفوف وترابطها، حيث يقول سبحانه: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(آل عمران : ١٢١) ، ويقول تعالى : {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ}(الصف : سبأ) ، ويقول جل شأنه: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ}(الأنفال : ٦٠).

ومع الأخذ بأقصى الأسباب كان (صلى الله عليه وسلم) دائمَ الذكر والدعاءِ والتضرع إلى الله (عز وجل) تطبيقًا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(الأنفال: ٤٥)، حيث قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: (اللَّهُمَّ إِنِّي

أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ) (صحيح البخاري) ، وما زال يجتهد في الدعاء والتضرع إلى ربه حتى أَخَذَ سيدنا أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه) بِيَدِهِ، وقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، فَخَرَجَ (صلى الله عليه وسلم) وَهُوَ يَقُولُ: (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) (القمر: ٤٥ ، ٤٦) .

لقد أخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه (رضي الله عنهم) بكل أسباب النصر في يوم بدر، فجاءتهم البشارات تترى، تطمئن قلوبهم بالنصر العظيم، حيث يقول تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ} (الأنفال : ٩ – ١١).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

ومن الدروس المستفادة أيضًا أمران ؛ الأول : الوفاء بالعهد حتى مع الأعداء فلقد ضرب لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في

الوفاء حتى مع أعدائه، يقول سيدنا حُذَيْفَةُ (رضي الله عنه): مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي، فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: (انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ) (صحيح مسلم).

الثاني : حسن التعامل مع الأسرى ، حيث قبل (صلى الله عليه وسلم) من بعضهم الفداء ، وأطلق بعضهم (صلى الله عليه وسلم) دون مقابل ، بل أبدى (صلى الله عليه وسلم) استعداده أن يطلق سراحهم جميعًا دون فداء وفاءً للمطعم بن عدي ، حين أجار نبينا (صلى الله عليه وسلم) عند عودته من الطائف ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ، ثُمّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ) (اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه ، لأبي العباس القرطبي المتوفى سنة ٦٥٦هـ).

فما أحوجنا إلى الأخذ بكل أسباب النصر ، فننتصر على أنفسنا وشهواتنا ، ونعمل جميعًا بإخلاص وعلم وجد وأمل ، وتعاون على كل خير نافع للناس كل الناس ، حيث يقول الحق سبحانه: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(المائدة : ٢).

* * *

فضل ليلة القدر وصدقة الفطر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (الدخان : ٣ - ٦) ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد :

فإن الله (عز وجل) قد امتنَّ على عباده في شهر رمضان المبارك بمنح إلهية ونفحات ربانية تتضاعف فيها الحسنات ، ويغفر الله تعالى فيها الذنوب والسيئات، ومن أعظم العطايا الإلهية ليلة القدر ، تلك الليلة المباركة التي جعل الله سبحانه العبادة فيها أفضل من عبادة ألف شهر، حيث يقول تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}(سورة القدر : ١ – ٥).

وقد سُمِّيت ليلة القدر بهذا الاسم لعلو شأنها، وعظم قدرها عند الله (عز وجل)، فقد أنزل الله تعالى فيها كتابًا ذا قدر ، على نبي ذي قدر ، بواسطة ملَك ذي قدر ، على أمة ذات قدر ، حيث يقول ابْن عَبَّاس (رضي الله عنهما) : أُنْزِلَ الْقُرْآن جُمْلَة وَاحِدَة إِلَى سَمَاء الدُّنْيَا فِي لَيْلَة الْقَدْر ، ثُمَّ أُنْزِلَ بَعْد ذَلِكَ فِي عِشْرِينَ سَنَة ، وَقَرَأَ : {وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا}(الإسراء : ١٠٦} (شعب الإيمان للبيهقي) ، كما

أن فيها تقدير مقادير العباد في عام ، يقول تعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}(الدخان : ٤).

واختص الله (عز وجل) هذه الليلة المباركة بفضائل عديدة ؛ فهي ليلة الأمن والأمان والسلام ، حيث يقول الحق سبحانه: {سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}، فهي دعوة لنشر السلام في الأرض ، كما أنها ليلة التشريف والتكريم لعباد الله الطائعين ، فتتنزل الملائكة الكرام ومعهم أمين الوحي جبريل (عليه السلام) إلى الأرض بالرحمات والبركات ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى) (مسند أحمد) ، كما أنها ليلة العفو الإلهي ، تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها) : يا رسول الله ، أرأيت إن علمت أي ليلة هي ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: قولي : (اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) (سنن الترمذي).

فما أحوجنا إلى أن نتحلى بالعفو في هذه الليلة المباركة وفي غيرها حتى ننال عفو الله (عز وجل)، حيث يقول تعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}(النور : ٢٢) ، ويقول سبحانه: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}(الشورى : ٤٠) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا) (صحيح مسلم).

فحري بنا أن نجتهد في قيام هذه الليالي المباركة وفي إحيائها بقراءة القرآن الكريم ، والذكر ، والدعاء ، وفعل الخيرات ؛ التماسًا لثوابها العظيم ، فقد وعد الله تعالى من يحيي هذه الليلة المباركة بمغفرة الذنوب ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (صحيح البخاري) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن شهر رمضان شهر التكافل والتراحم ، شهر تتجسد فيه معاني الرحمة والرأفة بالفقراء والمساكين ، فما أحوجنا إلى أن نختمه بإغناء الفقراء والمساكين ، سواء أكان ذلك بإخراج الزكاة، أم بالإكثار من الصدقات ، أم بالمبادرة إلى إخراج زكاة الفطر التي شُرعت في هذه الأيام المباركة طُهرة للصَّائم من اللغو والرفث ، وطُعمة للمساكين ، حيث يقول ابن عبَّاس (رَضِيَ اللهُ عنهما) : (فرَضَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – زكاةَ الفِطر ؛ طُهْرةً للصَّائِمِ مِنَ اللَّغوِ والرَّفَثِ ، وطُعمةً للمَساكينِ) (سنن أبي داود) ، وذلك حتى تسود المحبة والمودة بين الناس ، وتعم فرحةُ العيد الجميعَ ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (أَغْنُوهُمْ فِي هَذَا اليَوْمِ) (سنن الدارقطني).

وبذلك يكون المجتمع كالجسد الواحد ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَداعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) (صحيح مسلم) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ

أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا...) (الطبراني في الأوسط) .

على أننا نؤكد على جواز إخراج زكاة الفطر نقدًا ، وأن في ذلك تحقيقًا للمصلحة ومراعاة لحال الفقراء ، مع استحباب التوسعة عليهم بما هو أكثر وأوسع من صدقة الفطر ، فجزاء الإنفاق في سبيل الله تعالى عظيم ، حيث يقول الحق سبحانه : {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة : ٢٦١) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزكاةِ ، ودَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ) (الطبراني في الأوسط) .

* * *

خطبة عيد الفطر المبارك

الحمد لله ، والله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، الحمد لله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعـــد:

فها هو شهر رمضان المبارك قد انقضت أيامه بعدما تقلب العبد بين ألوان من الطاعات والعبادات ، يرجو رحمة الله (عز وجل) وفضله ومغفرته ، واليوم أشرقت علينا شمس عيد الفطر المبارك ببهجته وفرحته ، نستقبله بالتكبير والصلاة والتقرب إلى الله (عز وجل) بالطاعة بعد الطاعة ، والأعياد فى ديننا الحنيف لها حكمة شرعت من أجلها ، ولها آداب ينبغي التحلي بها ، وإن عيد الفطر يأتي بعد أن أتم المسلمون فريضة الصيام ، واستنوا بسنة نبيهم فى القيام ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" ، وقال :"مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" (صحيح البخاري) .

إن يوم العيد هو يوم الجائزة، والبراءة من الذنوب، والطهارة من العيوب، يباهي فيه ربنا سبحانه بأهل الإيمان ملائكته التي تقف على أبواب الطرق تبشر الصائمين بمغفرة ذنوبهم ، وقبول طاعتهم ، ورفعة منزلتهم، فحق لنا أن نفرح بيوم العيد ، حيث يقول سبحانه: {قُلْ بِفَضْلِ

اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}(يونس : ٨٥)، ويقول تعالى: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (البقرة : ١٨٥). ويقول (صلى الله عليه وسلم): (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا؛ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) (صحيح البخاري).

إنه الفرح المشروع الذي تقره الشريعة الغراء، فقد قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: (مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟)، قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ) (سنن أبي داود).

والترويح عن النفس أدب من آداب الأعياد ، وتشريع من تشريعات رب العباد، فعن عائشة أم المؤمنين (رضى الله عنها) قَالَتْ: كَانَ يَوْمُ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالحِرَابِ ، فَإِمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)، وَإِمَّا قَالَ: "تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ"، فَقَالَتْ : نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ ، وَيَقُولُ: "دُونَكُمْ بَنِي أَرْفِدَةَ" ، حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ ، قَالَ: "حَسْبُكِ"، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ: "فَاذْهَبِي" (صحيح البخاري) .

ومن مظاهر الفرح المشروع في الأعياد التوسعة على الأهل والأبناء في هذا اليوم ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ) (صحيح البخاري) .

وكذلك ينبغي للإنسان أن يكون حريصًا على إدخال السرور على الناس جميعا ، خاصة الفقراء والمساكين واليتامى ، وذوي الحاجة ، يقول

(صلى الله عليه وسلم) : (أَغْنُوهُمْ عَنْ طَوَافِ هَذَا الْيَوْمِ) (السنن الكبرى للبيهقي).

كما ينبغي لنا أن نزيد من تقوية الروابط والصلات المجتمعية، ومن أهمها: صلة الأرحام التي تعد من أعظم الواجبات ، وأفضل الطاعات، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) (متفق عليه)، والصلة تقتضي العفو والصفح، ودفع السيئة بالحسنة، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ ؛ وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا) (صحيح البخاري)، فإن اقتضت الظروف التي نعيشها اليوم في مواجهة كورونا التخفف من التواصل المباشر، فيستعاض عن ذلك بالتواصل عبر الهاتف ونحوه ، مع برهم وفق الاستطاعة والوسع .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله ، والله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، الحمد لله وحده ، وصلاة وسلاما على سيدنا محمد ، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن مواظبة العبد على فعل الطاعات بعد رمضان علامة من علامات قبول الصيام ، كما أنها امتثال لقول الله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}(الحجر : ٩٩)، وقوله سبحانه:{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}(الشرح: ٧ ، ٨)؛ أي : إذا انتهيت من عبادة وطاعة ، فادخل في

طاعة وعبادة أخرى قاصدًا بها وجه الله (عزّ وجلّ).

فإذا ما أتم الله علينا النعمة والفضل بصيام شهر رمضان، فإنه يستحب لنا صيام الست من شوال التي حثنا النبي (صلى الله عليه وسلم) على صومها، ورغبنا فيه، وأرشدنا إلى فضله، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ) (صحيح مسلم)، فصيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يُستكمل بها أجر صيام الدهر كله ، فلنحرص على صيامها ؛ تقربًا إلى الله (عز وجل)، وطمعًا في رضاه ، سائلين الله (عز وجل) أن يتقبل منا الصيام والقيام وصالح الأعمال، وكل عام والعالم كله في أمن وأمان ، وسلم وسلام.

* * *

فضائل وأعمال يوم عرفة ويوم الأضحى (*)

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، القائلِ في كِتَابِهِ العزيزِ : {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * والشفع والوتر}(الفجر:١ـ ٣)، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن من فضل الله تعالى على عباده أن جعل أيام الخير والبركة تتوالى ، تضاعف فيها الحسنات ، وتكفر فيها السيئات ، ويُستكثر فيها من الباقيات الصالحات ، ويتجدد فيها نشاط العبد فيسارع فيها إلى الخيرات ليتقرب من رب الأرض والسماوات.

فحياة المسلم ذاخرةٌ بالأعمال الصالحة ، والعبادات المشروعة التي تجعله في عبادةٍ مُستمرةٍ ، وعملٍ صالحٍ ، وسعيٍ دءوبٍ إلى الله جل في عُلاه ، ويمتاز دهره بأنه مليء بالمواسم الفاضلة والأوقات العامرة ، وتمتاز أيامه بالنفحات العاطرة والرحمات المتقاطرة ، قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ لِرَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا) (المعجم الكبير للطبراني)، ولهذا حثنا نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) على ضرورة اغتنام واستثمار هذه النفحات ، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) :

(*) هذه الخطبة من إعداد الشيخ/ حازم جلال ، إمام وخطيب بوزارة الأوقاف.

(افْعَلوا الخَيْرَ دَهْرَكُمْ ، وتَعَرَّضُوا لِنَفَحاتِ رَحْمَةِ اللهِ ، فإنَّ للهِ نَفَحاتٍ من رحمتِهِ ، يُصِيبُ بِها مَنْ يَشَاءُ من عبادِهِ ، وسَلوا اللهَ أنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ ، وأنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ) (المعجم الكبير للطبراني).

وشهر ذي الحجة من الأشهر الحرم التي اختصها الله (عز وجل) بالفضل العظيم ، ففيها أيام عشر ذي الحجة التي قال عنها النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ) يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: (وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ) (سنن الترمذي).

ومن أعظم هذه الأيام يوم عرفة ، ويوم الأضحى ، فأما يوم عرفه فهو اليوم التاسع من ذي الحجّة ، الذي أكمل الله (عز وجل) فيه الدين لنبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، وقد حسدنا اليهود على هذا الكمال ، حيث قال حَبْرٌ من أحبار اليهود لسيدنا عمر (رضي الله عنه) : آيةٌ في كتابكم لو نزلت علينا معشر اليهود ؛ اتّخذنا ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدًا:{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}(المائدة : ٣)، قال عمر (رضي الله عنه) : (قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ) (صحيح البخاري).

ولو لم يكن في عشر ذي الحجة إلا يوم عرفة لكفاه ذلك فضلاً ، فهو يوم الحج الأكبر ، ويوم مغفرة الذنوب والعتق من النيران ، قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَاهِي بِهِمُ

الْمَلَائِكَةَ ، فَيَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِّينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (فَمَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ عَتِيقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ) (صحيح ابن خزيمة)، وهو اليوم المشهود، فقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (اليَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ القِيَامَةِ ، وَاليَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الجُمُعَةِ....) (سنن الترمذي) ، من ملك فيه جوارحه وصان سمعه وبصره ولسانه غفر الله له، قال (صلى الله عليه وسلم) : (...إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَنْ مَلَكَ فِيهِ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ غُفِرَ لَهُ) (مسند أبي يعلى)، والدعاء فيه مجاب ، قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (سنن الترمذي).

وقد جعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صومه تطوُّعًا لغير المحرم يُكفِّر ذنوب سنتين : سنة ماضية وسنة مُقبلة ؛ فقَالَ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : (صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أن يُكفِرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ ، وَالَّتِي بَعْدَهُ) (سنن الترمذي)، ولذا فإنه يستحب اغتنامها بكثرة الصيام ، والقيام، والذكر ، وقراءة القرآن الكريم ، وصالح الأعمال ، سواء أكانت من أعمال العبادات أم من أعمال عمارة الكون وصناعة الحياة .

ويوم النحر ، هو اليوم العاشر من ذي الحجّة ، وهو أفضل الأيام ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ وَهُوَ الَّذِي يَلِيهِ) (السنن الكبرى للبيهقي) ، فأيام العشر من ذي الحجة

من أعظم المواسم التي امتن الله تعالى بها على عباده ، والموفق من اغتنمها وحاز رضا الله تعالى فيها .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

من أهم أعمال الخير التي يتأكد فعلها في عشر ذي الحجة للقادر التقرب إلى الله (عز وجل) بذبح الأضحية التي سنَّها لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) وحثَّ على فعلها ؛ لما فيها من التقرب إلى الله (عز وجل)، وإحياء لسنة أبينا إبراهيم (عليه السلام) ، يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا) (سنن الترمذي)، فهي سنة مؤكدة ، قال تعالى:{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}(الكوثر :٣)، وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: (ضَحَّى النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ) (متفق عليه) ، وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) : (أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نحر يوم الأضحى بالمدينة) (السنن الكبرى للنسائي) ، ومن ثم ينبغي لكل قادر موسر أن يتقرب إلى الله بفعلها ؛ لأنها شعيرة عظيمة من شعائر الدين الإسلامي الحنيف ، بها تتحقق التقوى ، قال تعالى :{لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}(الحج : ٣٧).

وإذا أردنا أن نتحدث عن الأضحية فإننا نؤكد أن الهدف والمقصد العام منها هو التوسعة على الأهل من جهة ، وعلى الفقراء والمحتاجين من جهة أخرى ، بقصد إدخال السرور عليهم جميعا ، ولنا هنا وقفات:

الأولى : أن الأضحية هي لون من ألوان التكافل والتراحم في ديننا الحنيف.

الثانية : ضرورة الحفاظ على البيئة ، والالتزام بالذبح في المجازر ، أو الأماكن المخصصة لذلك ، وعدم الذبح في الطرقات ، أو مداخل العمارات ؛ حتى لا يتسبب ذلك في إلحاق الأذى بالغير بمخلفات الذبح .

* * *

فهرس الموضوعات

* * *